



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

اكتساب اللغة بين ابن خلدون ونعوم تشومسكي -دراسة مقارنة-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص علوم اللسان

إشراف الأستاذ:

فريد خلفاوي

إعداد الطالبتين:

✓ سهيماء هاني

✓ زهرة هبيته

السنة الجامعية: 1437هـ-1438هـ / 2016م-2017م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(وَاللّٰهُ اَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطْوَنِ اُمَّهَاتِكُمْ

لَا تَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ

وَالْاَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ)

شكر وعرفان

نتقدّم بأسمى معاني الشكر والعرفان إلى كلّ من أسهم معنا
في إتمام هذا البحث المتواضع ، ونخصّ بالذكر الأستاذ
المشرف "فريد خلفاوي" الذي اتّسع صدره لكلّ ما كان منّا
ثقل.

كما نتقدّم بالشكر الجزيل إلى جميع الذين ساندونا في
مشوارنا الدراسي والجامعي.

كما نشركلّ من مدّد لنا يد العون في سبيل إنجاز هذا
البحث و لو بكلمة طيبة.

نسأل الله أن يجزيهم أحسن الجزاء ويوفّقهم إلى ما يجبه
ويرضاه، وهو وليّ ذلك والقادر عليه.

مقدمة

أصبح العالم اليوم قرية صغيرة بفضل تطوّر وسائل الاتصال، ولكي نكون على اتصال بهذا العالم الذي يأتينا في كلّ لحظة بمجديد في مجالات العلم والتكنولوجيا والسياسة والاقتصاد والتربية وغيرها، كان لابدّ لنا من إتقان لغتنا، ومن ثمّ تعلّم لغة ثانية لتفتح الأكوان المنغلقة أمامنا، ولنكون على علم ودراية بما يجري حولنا، ولنعدّ أنفسنا لمُحاراة المستجدّات والتكيف معها، إضافة إلى انفتاح الآفاق للتفاعل الثقافي مما يساعد في فهم الآخر، لذلك يُعدّ تعلّم اللغات أمراً مهمّاً، على الأيّ يكون ذلك على حساب اللغة العربية، التي تعتبر هويّة الأُمّة وعنوان استقلالها، ووعاء ثقافتها وحضارتها. وقبل الشروع في تعلّم أي لغة، يجب إلقاء الضوء على جهود العلماء ودراساتهم وبحوثهم في مجال اكتساب اللغة، حيث ظهر في هذا المجال العديد من النظريات العربية والغربية التي تدرس اللغة وطرق اكتسابها، ولقد كان الفكر العربي سابقاً لهذا الموضوع حيث برز عند العلامة "ابن خلدون" صاحب كتاب "المقدمة" الذي أصبحت دراساتها في اللغة مرجعاً للعلماء الذين جاءوا من بعده، ولعلّ أبرز نظير له في الدراسات اللغوية العربية الحديثة "نعوم تشومسكي" ونظريته اكتساب اللغة والذي كان له الفضل الكبير في تحقيق التطور الذي وصلت إليه الدراسات اللسانية الآن، ولإثبات ما سبق جاءت دراستنا هاته موسومة بعنوان "اكتساب اللغة بين ابن خلدون ونعوم تشومسكي - دراسة مقارنة".

ولقد غدا مقررًا أنّ موضوع الاكتساب اللغوي يحتلّ أهمية كبيرة اليوم، لذا فإنّ أسباب اختيارنا لهذا الموضوع قد تراوحت بين أسباب ذاتية تمثّلت في الرغبة في التعرّف على هذا الموضوع، وأيضاً لحزننا الكبير على ما آلت إليه لغتنا العربية اليوم إذ حزّ في نفسنا ما أصابها من اهتيار وتمزّق نتيجة الهزّة العنيفة التي تروم إزاحتها عن ممتلكاتها وعرشها، وتثبت ما ينوب عنها بحجّة قصورها وجمودها، وعدم مسيرتها للمستجدّات الحديثه والمتطلبات العصرية.

ولهذا أردنا الاطلاع على نظريات اكتساب اللغة حتّى يُساعدنا في إعادة النظر في لغتنا مفهومًا ووظيفةً، حيث طرأت ظروف وأهداف جديدة وكذلك طرق حديثة لتعلّمها وتعليمها.

وأمام هذا الواقع للغتنا يتحتم علينا أن نبحث جادين عن الحلول المناسبة لإحياء لغتنا من جديد حتى تعود لمكانتها وللريادة .

وعليه انطلقنا من عدة أسئلة منها:

- ما مفهوم اكتساب اللغة ؟

- كيفية تحصيل اللغة عند كل من ابن خلدون وتشومسكي ؟

ولأن هذا البحث يحتاج منهجا يوجه سيره، اعتمدنا على المنهج المقارن والتحليلي، للمقارنة بين نظريتي ابن خلدون وتشومسكي.

واقترضت الإجابة عن الأسئلة اتباع خطة تتكون من مقدمة ومدخل تعرّضنا فيه إلى تعريف اللغة من وجهات نظر العديد من العلماء والباحثين الغربيين والعرب، ثم قسمناه إلى ثلاثة فصول، فالفصل الأول توجّ بعنوان "اكتساب اللغة عند ابن خلدون"، وقسمنا هذا الفصل إلى مبحثين تناولنا فيهما نبذة عن حياة ابن خلدون ومسيرته العلمي، وتعريف اللغة عنده وكيفية تعليمها وطريقة اكتسابها، ثم منهجه في التحصيل اللغوي.

أما الفصل الثاني فسمّيناه "اكتساب اللغة عند تشومسكي" وهو أيضا قسمناه إلى مبحثين تطرقنا فيهما إلى حياة نعوم تشومسكي وتعريف اللغة عنده، ونظريته اللغوية وإسهاماته في تفسير اللغة.

والفصل الثالث فقد كان عنوانه "أوجه التشابه والاختلاف بين ابن خلدون وتشومسكي" وقد قمنا فيه بعرض نقاط التشابه والاختلاف بين نظريتهما.

ثمّ خاتمة والتي كانت عبارة عن نقاط موجزة تحمل نتائج هذا البحث وخلاصته.

وقد اعتمدنا على عدّة مراجع أهمها: "المقدمه" لابن خلدون وكتّابيّ قضايا ألسنية تطبيقية، و"الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)" لميشال زكريا ...

وقد اعترضتنا جملة من الصعوبات منها: قلة المراجع الخاصة بنظرية اكتساب اللغة عند تشومسكي، فمعظم الكتب التي وجدناها تدرس النظرية التحويلية بصفة عامة ولا تتعمق في موضوع الاكتساب، إضافة إلى عدم إيجادنا كتابين مهمين يدرسان هذا الموضوع وهما البنى النحوية والبنى التركيبية لنعوم تشومسكي. ولكن استطعنا التغلّب على هذه الصعوبات بفضل الله أولاً، بفضل كتب ميشال زكريا و محاضرات الأستاذ ابراهيم محمد ابراهيم محمد عثمان .

ونسأل الله أن يوفّقنا وأن يلقى ما كتبنا القبول الحسن، فهو وليّ التوفيق.

مدخل

إنَّ أول ما يتطرق إليه الباحث اللغوي أثناء دراسته للمسائل اللغوية مسألة ماهية اللغة وطبيعتها، إذ تُعدّ الخطوة الأولى سواء أتعلق الموضوع تعلقاً مباشراً باللغة أم تعلقاً غير مباشراً بها، وهذا ما يفسّر اختلاف العلماء والباحثين في إعطاء تعريف دقيق لها.¹

ولقد اختلفت نظرة العلماء إلى اللغة وفقاً للمناهج المتبعة في دراستها، ففريق يعرفها على أساس عقلي أو نفسي، فهي عندهم: >> استعمال رموز صوتية منظمّة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص إلى آخر<<، ومن هذا الفريق العالم الأمريكي "سابير" حيث يلاحظ في تعبيره أنه أهمل استخدام اللغة في التعبير عند الشعور والعواطف واستخدامها للترفيه والتسلية، وقصرها على التعبير عن الأفكار فقط.²

وفريق آخر وهم علماء الفلسفة والمنطق نظروا إليها باعتبار وظائفها، وفي ذلك يقول "جفونو" للغة ثلاث وظائف، هي:

- كونها وسيلة تواصل .
- كونها مساعداً آلياً للتفكير .
- كونها أداة للتسجيل والرجوع .

وهؤلاء أيضاً قصرُوا وظيفة اللغة على نقل الأفكار كالفرق السابق.³

أمّا علماء الاجتماع فقد نظروا إلى وظيفتها في المجتمع، حيث عرفها العالم الأمريكي "إدجار ستريتنفنت" بأنها: >> نظام من رموز ملفوظة عرفية، بواسطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة<<¹.

¹ محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، (د ط)، 1996، ص 48.

² المرجع نفسه، ص 52

³ المرجع نفسه، ص 52

أمّا من العلماء العرب القدماء نجد ابن جني يعرفها بأها >> أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم <<².

وعلق عليه الدكتور محمود حجازي بقوله: >> وهذا التعريف دقيق، ويتفق في جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين، فهو يؤكّد من جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، وبيّن أيضاً أنّ وظيفتها الاجتماعية هي التعبير ونقل الأفكار في إطار البيئة اللغوية، ويذكر كذلك أنّها تؤدي وظيفتها في مجتمع بعينه، فلكلّ قوم لغتهم <<³.

ويعرّف ابن منظور في كتابه "لسان العرب" اللغة في قوله: >> اللغة: اللسن، وحدّها أنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم <<⁴.

وعليه نستنتج أنّ اللغة ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها البشر، ومنذ التقى الإنسان بغيره وهو يحتاج إلى وسيلة تفاهم، ومن أرقى الوسائل التي وصل إليها الإنسان في تفاهمه مع أخيه اللغة الصوتية.

¹ المرجع نفسه، ص 52.

² ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، دار الهدى، (ط 2)، بيروت، (د ت)، ص 23.

³ محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار الكتاب العربي، (د ط)، 1968، ص 4.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، ج 12، إحياء التراث العربي، (د ط)، بيروت، 1418 هـ، ص 300.

الفصل الأول

اكتساب اللغة عند ابن خلدون.

-المبحث الأول :ترجمة لابن خلدون.

-المبحث الثاني :ابن خلدون في اكتساب اللغة.

-ملخص.

المبحث الأول : ترجمة لابن خلدون

يُعدّ "ابن خلدون" من اللغويين العرب القدامى المتميّزين نظراً لما له من دراسات هامة تندرج ضمن إطار علم اللغة نحو تعريفه للغة وللملكة اللسانية، ومن منطلق هذه الحقائق الجديدة بالدراسة ينبغي أولاً الترجمة لهذا العالم اللغوي ثم إبراز مكانته العلمية.

1- نبذة عن حياته :

أ- مولده ونسبه :

هو عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن خالد بن عثمان بن هانيء بن الخطاب بن كريب بن معد يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر¹، ولد في تونس في غرة رمضان سنة 732 هـ الموافق لـ 27 من مايو سنة 1332م²، اكتسب كنيته أبا زيد من اسم ابنه الأكبر علي ما جرت عادة العرب في الكنية، ولُقّب بوليّ الدين بعد تولّيه وظيفة القضاء في مصر، وقد اشتهر "بابن خلدون" نسبة إلى جده التاسع خالد بن عثمان، وهو أول من دخل من هذه الأسرة بلاد الأندلس مع الفاتحين العرب، واشتهر فيما بعد باسم خلدون وفقاً للطريقة التي جرى عليها حينئذ أهل الأندلس، وكذلك أهل المغرب، إذ كانوا يضيفون إلى الأعلام واوا ونونا للدلالة على تعظيمهم لأصحابها (خالد=خلدون)، وقد اشتهرت فروع هذه الأسرة في الأندلس والمغرب باسم "بني خلدون"، ومع أنّ كثيرين من أفراد هذه الأسرة كانت تصحب أسماءهم بكلمة "ابن خلدون"، فقد استقرّ الاصطلاح فيما بعد، على أنّ هذه الكلمة إذا أطلقت لا تنصرف إلاّ لعبد الرحمان مؤلف كتاب <<العبر>>³

¹ حسين عاصي، أعلام مؤرخي العرب و الإسلام - ابن خلدون مؤرخاً -، دار الكتب العلمية، (ط 1)، بيروت، 1991، ص7.

² الجيلاي بن التوهامي مفتاح - فلسفة الإنسان عند ابن خلدون -، دار الكتب العلمية، (ط 1)، بيروت، 2011، ص16.

³ حسين عاصي، المرجع نفسه، ص7.

وكثيرا ما يضاف إلى اسمه صفتا "المالكي" نسبة إلى مذهبه الفقهي، وهو مذهب الإمام مالك بن أنس، وخاصة بعد توليه منصب قاضي قضاة المالكية في مصر، وصفة "الحضرمي" نسبة إلى مسقط رأس أسلافه حضرموت¹، وقد حرص "ابن خلدون" في معظم مؤلفاته على إضافة صفة "الحضرمي" إلى اسمه، فيقول على سبيل المثال في كتابه المشهور "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" >> يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني بلطفه عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي، وفقه الله تعالى <<².

إضافة إلى هذا نجد أنه كثيرا ما كان يضاف إلى اسمه ألقاب ونعوت أخرى تنبئ عن وظيفته أو عن مكانته العلمية أو الدينية ومنها: الوزير، الرئيس، الحاجب، الفقيه الجليل، علامة الأمة...³.

¹ حسين عاصي، المرجع السابق، ص8.

² صلاح الدين بسيوني رسلان، السياسة و الاقتصاد عند ابن خلدون، كتب عربية للنشر، (د ط)، القاهرة، (د ت)، ص6.

³ حسين عاصي، المرجع نفسه، ص8.

ب- نشأته: إنَّ المتعمِّق في دراسة حياة "ابن خلدون" يجد أنَّ هذا العلامة نشأ في أحضان تلك الأسرة العريقة في العلم والجاه، فقد حرص والده على تربيته تربية خاصة، فشجَّعه على الأخذ والتتلمذ عن يد مشاهير علماء بلاده، فقد حفظ القرآن الكريم منذ طفولته على عادة أبناء عصره، وأرسله إلى الشيخ "الريال" الذي أخذ عنه القراءات وعلوم القرآن¹، والجدير بالذكر أيضاً أنَّ ابن خلدون قد خصص في سيرته الذاتية التي كتبها لنفسه فصلاً طويلاً لمراحل تكوينه الثقافي، محمداً أصولها وأهليتها، واصفاً بالتفصيل المعارف التي هضمها تدريجياً.

ونستخلص من ثناياها أنَّ تربيته الابتدائية كانت تقليدية، وحسب المنهج الذي كان متبعاً في كثير من الأقطار الإسلامية، وهي بدأت في البيت تحت إشراف والده الذي كان معلِّمه الأول، ثمَّ قرأ القرآن وجوَّده بالقراءات السبع وبقراءة يعقوب، ودرس بعد ذلك العلوم الشرعية من حديث وتفسير وفقه على المذهب المالكي، كما درس العلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب، وانتقل بعدها لدراسة المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضة، وفي جميع دراساته حظي بإعجاب أساتذته ونال إجازاتهم².

من خلال ما سبق يتضح لنا أنَّ نشأة "ابن خلدون" تتميز بالعلمية في شتى العلوم والمعارف والفنون المختلفة.

ج- وفاته: توفي "ابن خلدون" في مصر يوم 26 رمضان 808 هـ الموافق لـ: 17 مارس 1406م، ودفن في مقابر الصوفية عند باب النصر شمال القاهرة، وقبره غير معروف، وعلى الرغم من هذا يبقى "ابن خلدون" إلى اليوم شاهداً على عظمة الفكر الإسلامي المتميز بالدقة والجديّة العلمية والقدرة على التجديد لإثراء الفكر الإنساني³.

¹ ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 2، دار الغرب الإسلامي، (ط 3)، بيروت، 1989، ص 211.

² ينظر: حسين عاصي، المرجع السابق، ص 16-17.

³ ينظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 4، دار الجيل، (ط 1)، بيروت، 1992، ص 146.

2- مسيرته العلمية:

كما أشرنا سلفاً أن "ابن خلدون" تعددت جهوده في مجالات علمية مختلفة -العلوم الشرعية، العلوم اللسانية، العلوم الطبيعية، المنطق والفلسفة- وهذا كله يوحي بأن لديه ثروة علمية، وذلك يرجع إلى انكبابه على تحصيل العلم منذ نشأته الأولى، كما يذكر لنا في تدوين سيرته الذاتية¹، يقول "ابن خلدون": >> "لم أزل منذ نشأت، وناهزت مكباً على تحصيل العلم، حريصاً على اقتناء الفضائل، متنقلاً بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان والصدور، وجميع المشيخة، وهلك أبواي رحمهما الله <<².

ومنه فإن المتعمّن في قوله يجد أن لأبيه الفضل الأكبر في بداية تعليمه، وذلك عندما وجّه لطلب العلم منذ صباه المبكر، فحضر مجالس علماء تونس الذين كان منهم كثيرون من مهاجري الأندلس، حيث تعلم وحفظ القرآن على يد الشيخ "أبي عبد الله محمد بن سعد"، ودرس العربية على يد أبيه وعلى يد عدد آخر من العلماء والمشايخ³، يقول في هذا الصدد: >> "تعلمت صناعة العربية على يد والدي وعلى يد أساتذة في تونس منهم الشيخ "أبو عبد الله بن العربي الحصائري"، وكان إماماً في النحو وله شرح مستوف على كتاب التسهيل، ومنهم "أبو عبد الله محمد بن الشواش الزرّالي"، ومنهم "أبو العباس أحمد بن القصار"، كان ممتعاً في صناعة النحو، وله شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الجناب النبوي، ومنهم إمام العربية والأدب بتونس "أبو عبد الله محمد بن بحر"، لازمت مجلسه، وأفدت عليه، وكان بحراً زاخراً في علوم اللسان <<⁴.

¹ عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، دار اقرأ، (ط 1)، بيروت، 1984، ص 13.

² عبد الرحمان بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دار الكتاب اللبناني، (د ط)، لبنان، 1979، ص 57.

³ اسماعيل سراج الدين، ابن خلدون انجاز فكري متجدد، تح: محمد الجوهري - محمد محسن يوسف، مكتبة الإسكندرية، (د ط)، مصر، 2008، ص 12.

⁴ عبد الرحمان بن خلدون، المرجع نفسه، ص 19.

بالإضافة إلى هذا نجد أن "ابن خلدون" قد واجهته صعوبات أثناء مسيرته العلمية، ذلك أنه قد عاش في عالم متقلب الأوضاع في جميع الميادين، فكان العصر آنذاك عصر أصبحت فيه الحضارة العربية الإسلامية عاجزة عن أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام، بل إنَّها أخذت تتقهقر تقهقرا ذريعا¹، وبالرغم من هذا كان ابن خلدون مثالا بارزا لذلك المثقف الذي ألقى في خضمّ فترة مضطربة متقلّبة في تاريخ الأمة العربية الإسلامية وهي تواجه عالم آخر في حال تحوّل قبالة عصر النهضة، وهذا كلّه أجبره على خوض غمار السياسة، حيث كان رجل دولة انخرط في العمل السياسي وشؤون الحكم مدّة تزيد على عقدين ببلاد المغرب، كما كان عالما متأملا، تفرّغ لشؤون البحث والكتابة في قلعة "بني سلامة" مدّة أربع سنوات بالجزائر، وكان كذلك قاضيا وفتيها ومعلّما لأكثر من ربع قرن بمصر².

ومن خلال هذه النظرة السريعة على مسيرته العلمية، نستنتج أن الثروة العلمية التي اكتسبها "ابن خلدون" تعود إلى ممارسته أدوار ووظائف متنوّعة ساهمت في توسيع أفق ملاحظاته وتنمية معلوماته، وإثراء خبرته العلمية لشؤون البشر والحياة، وهذا كلّه جعله يترك أعمالاً متنوّعة قابلة للدراسة في مختلف العلوم.

¹ ينظر: عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تر: محمد الشريف بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، الجزائر، 1998، ص 22-23.

² ينظر: اسماعيل سراج الدين، المرجع السابق، ص 17.

المبحث الثاني: اللغة واكتسابها عند ابن خلدون

لا شك أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلم إلى المخاطب، فاللغة بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر، وأداة لا غنى عنها للتعامل في حياتهم، ومع ذلك فهي ليست غريزية كما يقرر ذلك الكثير من الباحثين، فهي إذاً حاجة مكتسبة لتلبية عملية التواصل المنشودة بين أفراد المجتمع، فالمرء قد يعيش حياته كاملة دون أن يتعلم القراءة والكتابة، ولكن الأمر مختلف بالنسبة للغة، فبدونها لا يستطيع التفكير أو التعبير عن عواطفه ومشاعره وانفعالاته.¹

1- تعريف اللغة عند ابن خلدون:

لقد تناول ابن خلدون تعريفاً للغة في كتابه "المقدمة" في فصل تحت عنوان "في علوم اللسان العربي"، فكان التعريف كالتالي: >> اعلم أنّ اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد لإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحاتهم <<².

إنّ اللغة الإنسانية في نظر "ابن خلدون" ملكة مكتسبة، واعتبار اللغة ملكة يربطها بالقدرات الفطرية لدى الإنسان على نحو يجعل البعد اللغوي خاصية إنسانية.

ومن خلال تعريف "ابن خلدون" للغة نستنتج أنّها ملكة لسانية وأنّها ذات طبيعة صوتية، وبأنّ وظيفتها اجتماعية باعتبارها وسيلة للتعبير عن الأفكار وبالتالي فهي وسيلة للتواصل بين المجتمعات.

¹ باسم يونس البديرات، الفكر اللغوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة المعاصر (أطروحة دكتوراه)، إشراف: عبد القادر مرعي خليل، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، السعودية، 2007، ص 57.

² عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، ج 2، دار يعرب، (ط 1)، دمشق، 2004، ص 367.

2- تعليم اللغة عند ابن خلدون:

إنّ اللغة في نظر "ابن خلدون" ملكة لسانية، وكلامه هذا يجعل اللغة فعلاً لسانياً ناشئاً وذلك لوعيه بأهمّيتها قابلة للتعلّم والاكتساب، وتصير مع الوقت والمران ملكة متقرّرة¹.

من خلال هذا الحديث نستنتج أنّ الملكة لها صلة وثيقة بالتعليم، وهذا ما ذهب إليه "محمد فاروق النبهان" في كتابه "الفكر الخلدوني من خلال المقدمة" حيث يقول: >> ترتبط الملكة بالتعليم ودقّة النقل، ذلك أنّ الملكة لا تتكون من خلال التعليم النظري المجرد، لأنّ خبرة المعلّم تسهم بطريقة مباشرة في تكوين الملكة لدى المتعلّم <<².

وقد ركّز ابن خلدون على أهمّية المباشرة، لأنّ المباشرة في الأحوال الجسمانية أتمّ فائدة، فيقول في هذا الصدد: >> الأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأنّ المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتمّ فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرّة بعد أخرى حتّى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة، ونقل المعاينة أوعب وأتمّ من نقل الخبر والعلم، فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر، وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلّم، يكون حذف المتعلّم في الصناعة وحصول ملكته <<³.

نجد في هذا النص أنه يركّز على أهمّية نقل الصنعة عن طريق المعلّم، ويكون ذلك بأسلوب التعليم المباشر والتلقين، لأنّه أكثر سرعة، وأكثر دقّة، فالمعلّم صاحب ملكة، ويمكنه عن طريق التلقين والتعليم المباشر أن ينقل كل خبراته وملكاته التي اكتسبها من خلال زمن طويل

¹ مسعودة خلاف شكور، اسهامات ابن خلدون وآراؤه النظرية في تعليمية اللغة (مقال)، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2013، ص19.

² محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، مؤسسة الرسالة، (ط 1)، بيروت، 1998، ص257.

³ عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج 2، (د ط)، (د ت)، ص90.

إلى من تفرّغوا لتعلّم تلك الصنعة، وقد يكون هذا الأسلوب في التعليم أسلوباً بدائياً وقديماً إلاّ أنه أسلوب أثبت في مجال الصنائع نجاحاً كبيراً¹.

زيادة على هذا وقبل التطرّق إلى المنهج الذي أقرّ به ابن خلدون في تعليم اللغة لابدّ من الإشارة إلى أنّ مستوى تكوين الملكة يعتمد على عنصرين هامين:

الأول: جودة التعليم:

والمراد بجودة التعليم أن يتفرّغ المتعلّم للتعليم، وأن يحرص كل الحرص على النقل والملاحظة والإتقان، لأن التعليم السريع لا يمكن المتعلّم من ملاحظة الأشياء الدقيقة التي لا يمكن تعلّمها إلاّ عن طريق دقّة الملاحظة، وحسن التقليد والنقل، ولعلّ هذا هو السر في التركيز على أهمية المباشرة، ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم².

الثاني: ملكة المعلم:

وهذا شرط بديهي، إذ لا يمكن لفاقد الملكة أن يسهم في تكوين ملكة لدى المتعلّم، لأنّ فقد المعلم للملكة يمنعه من الإجابة، والمتعلّم لا يمكنه أن يأخذ من معلّمه أكثر مما عنده وسيأخذ عنه جميع إيجابياته وسلبياته، فإذا كان المعلم غير متقن، كان المتعلّم كذلك، ولهذا فإن اعتبار المعلم منذ البداية يعتبر أمراً ضرورياً في تكوين ملكة الإجابة لدى المتعلّم³.

ويعبّر ابن خلدون عن هذا المعنى بقوله: <>وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم، يكون حذق المتعلّم في الصناعة وحصول الملكة<<⁴.

¹ محمد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 257.

² المرجع نفسه، ص 258.

³ المرجع نفسه، ص 258.

⁴ المرجع نفسه، ص 258.

وهذا معيار مبدئي لتكوين ملكة الإجابة إذ من الواضح أنّ التكرار وحده لا يكفي للإجابة، لأن البداية إذا لم تكن سليمة ومتقنة، فمن المؤكد أنّ الملكة وإن ترسّخت في النفس من خلال التكرار، فإنّها لا تفضي إلى الحذف والإجابة، ذلك الأمر لا يتعلّق بمجرد إنجاز عمل ما، مما يدخل ضمن الصناعات المختلفة، إنّما يدخل ضمن تكوين ملكة ذاتية تمكّن من الإجابة والتفوق.¹

بالإضافة إلى هذا كلّه نجد أنّ عددا كبيرا من الباحثين والدارسين قد تنبّهوا إلى أنّ "ابن خلدون" قدّم منهجا متميّزا في تعليم اللغة، ويمكن تلخيصه في الآتي:

أ- التدرج في التعليم:

يعدّ من أهم الأشياء التي نادى بها "ابن خلدون"، وذلك أن يبدأ المعلم مع تلاميذه بالأجزاء الأساسية البسيطة في الدرس، يوضّحها توضيحا كاملا ثم ينتقل إلى الأمور الصعبة، أي التدرج إلى المباحث الأكثر صعوبة، لذلك عدّ التدرج في تعليم اللغة أمر طبيعي يتماشى مع طبيعة الاكتساب اللغوي نفسه، لذلك لزم أخذ هذا العامل بعين الاعتبار مع مراعاة السهولة، والانتقال من العام إلى الخاص وتواتر لمفردات²، وقد أشار "ابن خلدون" إلى ذلك إذ يقول: >> اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا، يُلقى عليه أولاً مسائل من كلّ باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الاحتمال <<³.

كلامه هذا يعني أنّ كل علم يكون تمهيد للعلم الذي يأتي بعده، وقد فصلّ هذا أكثر في قوله: >> ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين من تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شدّ، فلا يترك عويصاً ولا مُبهماً ولا مغلقاً إلاّ وضّحه وفتح له مُقفلَه،

¹ المرجع السابق، ص 259.

² طارق ثابت، اكتساب اللغوي وقضاياها عند ابن خلدون (مؤتمّر)، المؤتمّر العلمي الدولي "ابن خلدون علامة الشرق والغرب"، كلية الآداب جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، أكتوبر 2012، ص 7.

³ عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص 347.

فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته، هذا وجه التعليم المفيد>>¹، نجد في قوله هذا أنه يركّز على التدرج باعتباره نقطة مهمة في التعليم، فهو بهذا القول: >>ينصح بوجود البدء من العموميات وصولاً إلى الجزئيات، مثلما تنصح به نظريات التعلم الحديثة>>².

ب- مراعاة السن وعامل الاستعداد:

إنّ عدم الاستعداد للمتعلّم يضيع الجهود المبذولة من طرف المعلّم، وهذا ما رآه "ابن خلدون" فقد انتبه إلى أهمية النمو العقلي في تسهيل عملية التعلم، لذا عدّه أحد عوامل التعلم، كالنمو الجسدي والنفسي،³ يقول في هذا: >>ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول يردّ عليه>>⁴.

من الملاحظ أنّ الكلام عند "ابن خلدون" يتوافق مع ما قاله علماء اللغة الغربيون، حيث هذا في كلام "مارك ريشل" في قوله: >>تستلزم اللغة الإنسانية أعضاء طرفية ملائمة وجهازاً عصبياً ملائماً، إنّ الأساس الذي يميز اكتساب اللغة لا يعمل منذ الولادة، كما أنّه لا يبقى على الدرجة نفسها طول حياة الفرد>>⁵.

هذا الكلام يوضّح لنا أنّ صاحب اللغة المعينة إذا أراد أن يتعلّم لغة أخرى، فإنّ اكتسابه للغة الأخرى لا يمكن أن يكون تاماً، ولا يمكن أن تكون إجادته لها كإجادة أبناء اللغة الأصليين، لأنّ التداخل بين اللغة الام واللغة الثانية يعوق ذلك، وهذا المقصود بمراعاة عامل السن في تلقين اللغة⁶.

¹ المرجع السابق، ص 347.

² فتحي يونس وآخرون، المناهج _ الأسس_المكونات_التنظيمات_التطوير، دار الفكر، (د ط)، الأردن، 2004، ص103.

³ المرجع نفسه، ص7.

⁴ المرجع نفسه، ص347.

⁵ مارك ريشل، اكتساب اللغة، تر: كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات، (ط 1)، لبنان، 1984، ص53.

⁶ طارق ثابت، المرجع السابق، ص8.

ج- عدم التطويل على المتعلم في الفن الواحد، والاكتفاء بتعليم علم واحد في كل مرة:

يرى "ابن خلدون" أنّ هذه النقطة تمثّل شرطاً أساسياً لنجاح التعليم، إذ أنّ التطويل والمبالغة في مسألة من مسائل تعليم اللغة، يعدّه "ابن خلدون" عيباً ينتج عنه تقطيع المجالس وتفريق ما بينهما، الشيء الذي يغلب النسيان، ويعمل على انقطاع مسائل الفن عن بعضها، فيصعب معه التحصيل¹، حيث يقول في هذا الصدد: >> وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة، مجانية للنسيان، كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره، وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه<<².

زيادة على هذا رأى "ابن خلدون" أنّ العملية التعليمية تستلزم الاكتفاء بعلم واحد في كل مرة، حيث يقول في هذا: >> ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكبّ على التعليم منه بحسب طاقته، على نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان أو منتهياً ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره، ويحصل أغراضه، ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره، لأنّ المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم، استعدّها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق، حتّى يستولي على غايات العلم، وإذا اخلط عليه الأمر عجز عن الفهم، وأدركه الكلال وانطمس فكره، ويئس من التحصيل، وهجر العلم والتعليم<<³.

نستنتج من هذا القول الأخير أنّ "ابن خلدون" ركّز على ضرورة حصر التعلّم في علم واحد، في الزمن الواحد، والعمل بهذا التعليم يؤدي إلى تمرين عقل المتعلم، ثم يتقبّل العلوم الأخرى بسهولة، أمّا إذا كان تعليمه بعلمين في وقت واحد يجعله مشغولاً، ويعرضه للفشل والإحباط لأن عقله محدود وغير قادر على الإحاطة بأكثر من علم في وقت واحد.

¹ المرجع نفسه، ص 8

² عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص 34.

³ المرجع نفسه، ص 348.

د- الانتقال من المحسوس إلى المجرد وتقديم البسيط على المركب والمعقد:

يرى "ابن خلدون" أنه لا بدّ من مراعاة هذا المبدأ، إذ يجب أن تدرس القاعدة العامة قبل الخاصة، وتدرس الألفاظ التي لها علاقة بالموجودات المحسوسة قبل الألفاظ التي لها علاقة بالأشياء المجردة، بمعنى أن تُدرّس التراكيب البسيطة قبل التراكيب المعقدة، لذلك كان اشتراك الحواس في عملية التعليم أمر لازم، يساعد المتعلم على إدراك المواضيع التي يهدف تعليمها له بصورة أكثر وضوحاً، لأن ما يقع تحت حواسه يكون أكثر قابلية للإدراك، فيسهل تعلّمه ومعرفته، لأن أول اتصال يقوم به المتعلم مع العالم الخارجي هو اتصال مادي ووسائله الحواس الخمسة، لذا فلا غرابة أن يدعو "ابن خلدون" إلى الاهتمام بهذا الجانب من الاتصال الذي يمكن المتعلم من مواضيع تعلّمه¹، لذا نجد يقول: >> والأحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتمّ فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل على استعمال ذلك الفعل وتكرره مرّة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة، ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم، فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر<<².

إضافة إلى هذا يرى "ابن خلدون" أن العقل الإنساني يشوبه القصور، وأنّ مراتبه تختلف باختلاف البشر، فبما أنّ عقل الإنسان لا يستطيع أن يستوعب العلوم التي تكثر فيها المصطلحات وجب تبسيطها، ورؤيته هذه تعني التيسير على المتعلّم في بداية تعليمه علم ما، حيث يقول في هذا الشأن: >> ثم إنّ الصنائع منها البسيط ومنها المركّب، والبسيط هو الذي يختصّ بالضروريات، والمركّب هو الذي يكون للكماليات، والمتقدّم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولاً، ولأنّه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقاً في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصاً، ولا

¹ ينظر : طارق ثابت، المرجع السابق، ص 9.

² عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ص 90.

يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدرّج حتى تكتمل <<¹.

هـ - الاستعانة بكثرة التمارين:

إنّ الاهتمام بالتمارين اللغوية ومناسبتها للقدرات الذهنية والعقلانية للمتعلمين أمر ضروري ذلك أنّ التمرين اللغوي في عملية تعليم اللغات يعدّ مقوماً هاماً، لهذا اهتم الباحثون في الميدان اللساني والتربوي بالتمرين اللغوي وبضرورة تربيته وتحديد أهدافه التعليمية وضبط إجراءاته المختلفة لتذليل الصعوبات التي تعترض المتعلم، وتفادي الخطأ اللغوي الذي يشكّل عائقاً أمام تطور العملية التحصيلية في مجال تعليم اللغات²، وهذا ما أقرّ به "ابن خلدون" في قوله هذا: >> الدأب على التعليم والمران على اللغات، وممارسة الخط يفضيان بصاحبهما إلى تمكّن الملكة <<³. فهذا يعني أنّ التمارين في عملية تعليم اللغة تعدّ ركيزة أساسية يجب العمل بها لكي تكون الملكة اللغوية مكتملة في ذهن المتعلم.

¹ المرجع السابق، ص 90.

² أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية _ حقل تعليمية اللغات _ الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، (د ط)، الجزائر، (د ت)، ص 147.

³ عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص 366.

3- اكتساب اللغة وآراء ابن خلدون فيها:

لقد تناول "ابن خلدون" قضية تحصيل اللغة، أو ما يعرف باكتساب اللغة من منطلق ثابت مفاده أن اللغة ملكة طبيعية يكتسبها الإنسان، وتأكيداً على أن الملكة اللسانية مكتسبة، ويرى أن هناك نوعين من عملية الاكتساب اللغوي:

أ- الاكتساب من خلال التمرع في البيئة:

يشير "ابن خلدون" في هذا العنصر إلى أهمية الدخول اللغوي في اكتساب اللغة، وذلك الدخول في نظره هو سماع الكلام وأساليب التخاطب، والتعبير عن المقاصد وتلقن المفردات والتراكيب، فالطفل أو الأعجمي ينشأ في بيئة ما فتلقى أذنه التراكيب اللغوية والكيفيات الكلامية، فيقوم بالتعبير عن مقاصده بواسطة هذه الكيفيات إلى أن تصبح ملكة راسخة فيهم، فالسمع أبو الملكات اللسانية عند ابن خلدون¹. إذ يقول: >>فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر، إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم <<².

يتضح من خلال هذا الحديث أن "ابن خلدون" يولي المحيط الاجتماعي أهمية في اكتساب اللغة وذلك من خلال تأكيده على أن الطفل يكتسب لغة البيئة التي يسمع كلامها.

¹ ينظر: فقام فوزية، اكتساب اللغة وتعليمها عند ابن خلدون في ضوء الدراسات اللغوية النفسية الحديثة (مقال)، مجلة الذاكرة، العدد 2، (د ت)، ص101-102.

² عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ص378.

وقد تنبّه إلى هذا "فخر الدين قباوة" في قوله: >>ويبرز ابن خلدون عاملا اجتماعيا آخر لا تقل انعكاساته عن العامل الأول في تحصيل ملكة اللسان العربي، وهو دور المحيط الاجتماعي الأول أو المناخ اللغوي، الذي ينشأ فيه الطفل ويتلقى فيه اللغة الأولى، يكون ذلك حاجزا إذا أردنا أن ننقله إلى محيط آخر ليتعلّم لغة أخرى>>¹.

كما نجده يقول أيضا: >>المعروف لدى الغربيين أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية لا تتجلى في الفرد إلاّ إذا كان يعايش مجموعة من الناس متجانسة التعبير والأداء اللغوي >>².

بالإضافة إلى كلام هذا اللغوي، نجد كلاما آخر يسانده ويوضحه أكثر، للغوي "ميشال زكريا" إذ يقول: >>إنّ الطفل مهياً لتكوين قواعد لغته الأم ضمناً من خلال الكلام الذي يسمعه، فيبني لغته بصورة إبداعية، وبالتوافق مع قدراته الباطنية بقدر تقدمه في عملية الاكتساب، وهذا ما يسمى بالنظرية العقلانية التي يمثّلها تشومسكي>>³.

¹ فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، دار الفكر، (ط 1)، دمشق، 1999، ص 27.

² المرجع نفسه، ص 27.

³ ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، (ط 1)، 1993، ص 104.

ب- اكتساب اللغة بواسطة الحفظ والتكرار والفهم:

لقد تطرّق "ابن خلدون" إلى مسألة الحفظ في فصل تحت عنوان "في أنّ حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودها بجودة المحفوظ"، فهو يدرك بفكره الحدائثي أنّ اللغة صفة إنسانية عرضة للتغيير والتبديل، ومن هنا أدرك أهمية حفظ كلام العرب لتحصيل ملكة اللغة العربية، وهو الكلام الجاري على أساليبهم، ويشمل القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في شعرهم ونثرهم¹.

نجده يقول في هذه المسألة: <>لابدّ من كثرة الحفظ لمن يروم تعلّم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه، وكثرتِه من قَلَّتِه، تتكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ...، وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تتكون جودة الاستعمال من بعده، ثمّ إجادة الملكة من بعدهما، فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة، لأنّ الطبع إنّما ينسج على منوالها، وتنمو قوى الملكة بتغذيتها<>².

من خلال كلامه هذا يبرز لنا أنّ اكتساب اللغة يكون عن طريق الحفظ، وهذا الأخير لابدّ له من عامل آخر لكي يتم وهو التكرار، وقد ركّز عليه ابن خلدون في المقدمة، وأبدى لنا مدى أهميته في اكتساب الملكة اللغوية، فهو يرى أنّ التعليم الصحيح والسليم الناجح للغة يكون بالممارسة، أي الفعل وتكراره، يقول في هذا: <>إنّما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتیاد والتكرار للكلام<>³.

¹ باسم يونس البديرات، المرجع السابق، ص66.

² عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ص406.

³ ينظر: باسم يونس البديرات، المرجع نفسه ص63.

ونجد تأكيده لهذه الرؤية أو المسألة المهمة _التكرار_ في موضع آخر من كتاب المقدمة في هذا القول: >>والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنه صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي: صفة راسخة<<¹.

هذا القول يشير إلى ضرورة العمل بالتكرار من أجل اكتساب الملكة.

من خلال ما سبق نجد أن اكتساب اللغة يبدأ بالتكرار ثم الحفظ، علاوة على هذا يرى "ابن خلدون" أن الحفظ والتكرار لا يكفيان لامتلاك اللغة بل لابد من أمر هام وهو الفهم، فالفهم أساس في حصول الملكة اللسانية، وهذا ما يتضح في فصل "تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه"، حيث يرجع ابن خلدون حصول الملكة اللغوية للأندلسيين إلى اعتمادهم الفهم إلى جانب الحفظ².

¹ عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ص378.

² فقام فوزية، 102.

4- منهج ابن خلدون في التحصيل اللغوي:

يرى ابن خلدون أنّ عملية التحصيل اللغوي عملية وجدانية حيث يقول: >> وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب، حتى يصير واحداً منهم، ويفهم من ذلك أنّ ابن خلدون قد وجد أنّ عملية اكتساب اللغة أمر وجداني، ولكي تتم وتحصل لا بدّ من التركيز على الممارسة والتكرار وأهميّة دور البيئة >>¹.

وتأكيداً لهذا الكلام نجد ابن خلدون في المقدمة يقول: >> إنّ حصول ملكة اللسان العربية إنّما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبيهم، فينسج هو عليه، ويتنزّل بذلك منزلة من نشأ معهم، وخالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرّة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم >>².

الملاحظ أنّ قوله هذا يوضّح وسيلة حصول ملكة اللسان العربي، ومنه فإنّ المنهج الذي اختاره "ابن خلدون" لحصول ملكة اللسان العربي، يتمثّل في كثرة الحفظ من كلام العرب، إلى أن يرتسم ذلك المنهج التركيبي في الأذهان، وعندئذ يتمكنّ الإنسان من التقليد والمحاكاة³.

كما يرى ابن خلدون أيضاً أنّ الأسلوب الأفضل لتكوين ملكة اللسان العربي هو كثرة الاطلاع على أقوال العرب وحفظ روائع أقوالهم التي تبرز فيها الملكة اللغوية، وهذا الأسلوب يساعد المتعلّم على التدوّق الصحيح والتمكن من الأساليب الصحيحة، كما توفّر له الأسباب لاستخدام المفردات بطريقة معبّرة عن المعاني المطلوبة⁴.

¹ ينظر: طارق ثابت، المرجع السابق، ص 14-15.

² عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ص 386.

³ محمد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 345.

⁴ المرجع نفسه، ص 345.

ويمكننا القول إنّ الاهتمام بقوانين اللغة أدّى بصورة تلقائية إلى الاكتفاء بهذا الجانب والانصراف عن دراسة الأساليب اللغوية التي تساعد بطريقة مباشرة على تكوين الملكة اللغوية، وإننا نجد أن التركيز على القواعد قد يكون على حساب الاهتمام بالمعاني والمفردات اللغوية، مع أنّ الأساس أنّ الغاية من القواعد هي المساعدة على فهم النص العربي بطريقة صحيحة وأنّ تطوير الدراسات النحوية سوف يسهم على وجه التأكيد في تقوية الملكة اللغوية.

وابن خلدون أوضح طريقة جلية، هي أنّ طريقة حصول الملكة اللغوية هو التقليد والمحاكاة بعد انطباع الصورة في الذهن، ولا يتحقق ذلك إلاّ عن طريق الإمام بكلام العرب عن طريق الحفظ والفهم وتذوّق ذلك الأسلوب، واستيعاب دلالة المفردات اللغوية، وعندئذ يتمكن المتعلم من امتلاك ناصية اللغة، ومن ملك ناصية شيء أصبح قادراً على التحكّم فيه، عمقا في الفهم وتطويرا لمناهجه، وبذلك تكون ملكة اللغة قد أدّت غايتها في توسيع عطاء اللغة لكي تصبح لغة ملهمة، ويجد العربي فيها أداة طبيعية للتعبير عن أحاسيسه وتصوّراته وأفكاره¹.

¹ ينظر: المرجع السابق، ص345-346.

ملخص الفصل الأول:

من خلال تتبعنا لدراسة اكتساب اللغة في نظر ابن خلدون وآرائه فيها، ومنهجه في التحصيل اللغوي، نستنتج:

- يرى ابن خلدون أنّ اللغة ملكة لسانية، ذات طبيعة لسانية وأنّ وظيفتها اجتماعية باعتبارها وسيلة للتعبير عن الأفكار، وبالتالي فهي وسيلة للتواصل بين المجتمعات.

- اكتساب اللغة عند ابن خلدون يعتمد على عنصرين مهمين:

1- الجودة في التعليم: والمراد بها أن يتفرّغ المتعلّم للتعليم، وأن يحرص على النقل والملاحظة والإتقان.

2- ملكة المتعلّم: وهذا شرط بديهي، إذ لا يمكن لفاقد الملكة أن يسهم في تكوين الملكة لدى المتعلم.

- لخص عدد كبير من الباحثين والدارسين منهج ابن خلدون في تعليم اللغة في نقاط وهي:

1- التدرّج في التعليم.

2- مراعاة السن وعامل الاستعداد.

3- عدم التطويل على المتعلم في الفن الواحد، والاكتفاء بتعليم علم واحد في كل مرة.

4- الانتقال من المحسوس إلى المجرد وتقديم البسيط على المركب والمعقد.

5- الاستعانة بكثرة التمارين.

- يرى ابن خلدون أنّ هناك نوعين من عملية اكتساب اللغة وهما:

الاكتساب من خلال التمرّع في البيئة، واكتساب اللغة بواسطة الحفظ والتكرار والفهم.

الفصل الثاني

اكتساب اللغة عند تشومسكي.

-المبحث الأول: ترجمة لتشومسكي.

-المبحث الثاني: نظرة تشومسكي في اكتساب

اللغة.

-ملخص.

تحتل نظرية اكتساب اللغة مكاناً بارزاً في اهتمامات "تشومسكي" لارتباطها بالمبادئ المجردة التي تتحكم في بنية اللغة، وكثيراً ما يتساءل في مؤلفاته عن طريقة الاكتساب، وعن امكانية وضع نظرية يمكن تسميتها بنظرية الاكتساب¹.

المبحث الأول: ترجمة لتشومسكي

يتمتع "تشومسكي" بموقع فريد في المشهد الفكري العالمي، فقد كان الشخصية القيادية في الثورة المعرفية في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وقد هيمنَ على حقل اللسانيات منذ ذلك الوقت، كما كانت نظريته في النحو التوليدي بعدد من الأشكال المختلفة دليلاً وملهماً لكثير من السياسيين في أرجاء العالم².

1- نبذة عن حياة تشومسكي:

ولد "أفرام نعوم تشومسكي" في "فيلا دلفيا" بولاية "بنسلفانيا" في الولايات المتحدة الأمريكية في 7 ديسمبر 1928، وهو من عائلة يهودية روسية الأصل، تلقى تعليمه الأول في مدرسة "أوك لين" ثم في المدرسة المركزية العليا في "فيلا دلفيا"، وبعد ذلك التحق بجامعة "بنسلفانيا" حيث درس اللسانيات والرياضيات والفلسفة.

نال تشومسكي درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا رغم أنه أجرى معظم بحثه الذي نال بموجبه درجة الدكتوراه في جامعة "هارفارد" عندما كان عضواً في جمعية الزمالة فيها، وذلك في الفترة ما بين 1951 و1955، ومنذ عام 1955 مارس "تشومسكي" مهنة التدريس في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا³.

¹ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات، (ط 2)، بيروت، 1986، ص 65.

² نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغو والعقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار، (ط 1)، سوريا، 2009، ص 431.

³ جون ليونز، تشومسكي، تر: محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض، (ط 1)، 1408، ص 97.

حظيت أعمال "تشومسكي" بالتقدير في الدوائر الأكاديمية، فمنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة "شيكاغو"، ومن جامعة "لويولا" في شيكاغو، ومن جامعة "لندن"، كما دُعي لإلقاء المحاضرات في عدد من البلدان، ففي عام 1967 ألقى "تشومسكي" محاضرات "بيكمان" في جامعة كاليفورنيا في بريكلي، وفي عام 1969 ألقى محاضرات "جان لوك" في جامعة أكسفورد ومحاضرات ذكرى "شيرمان" في جامعة لندن.

وقد حقق "تشومسكي" أول شهرته في ميدان اللسانيات، حيث تعلّم قسطاً من مبادئ اللسانيات التاريخية من والده الذي كان عالماً في العبرية، وقد قدم "تشومسكي" نفسه في جزء من بحثه الأول في اللغة العبرية الحديثة عندما نال درجة الماجستير.

إلا أنّ العمل الذي اشتهر به هو بناء نظام النحو التوليدي، تطوّر من خلال اهتمامه بالمنطق الحديث وبأسس الرياضيات حيث طبّقها فيما بعد على وصف اللغات الطبيعية¹.

¹ المرجع السابق، ص 97.

2- مسيرته العلمية:

لقد اعتنى "تشومسكي" في مختلف مراحل تعليمه بالسياسة، وكان له موقف مناهض للسياسة الخارجية لدولته، وتدخلها في شؤون الدول الصغيرة التي تكافح من أجل استقلالها، وكان لهذا النشاط السياسي أثره الواضح في حياته العلمية، إذ قرّبّه هذا من نخبة من المفكرين والعلماء، أخذ يناقش معهم أفكارهم العلمية بالإضافة إلى مبادئه السياسية وأن يطّلع على أفكارهم وآرائهم، فصقل بذلك فكره، واشتدّ عوده، وكان من بين العلماء الذين تأثّر بهم في حياته العلمية أستاذه "زيلغ هاريس" الذي قرّبّه منه وأطلعه على أفكاره، وأزال ما بينهما من علاقة رسمية تربط الطالب عادة بأستاذه، فغدا تلميذه وزميله وصديقه الذي يطّلع على ما ينشره وما لم ينشره من أعمال مكتوبة وغير مكتوبة.

التحق "تشومسكي" بجمعيّة الرفاق سنة 1950، وفي سنة 1955 انتقل معهم إلى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا¹.

¹ ينظر: خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبه، (ط 1)، السعودية، 1984، ص52.

— مؤلفاته:

يحتل "تشومسكي" مكانة فريدة في الدراسات اللغوية المعاصرة، ولقد أثرت مؤلفاته المكتبة اللسانية وأفادت اللسانيين في مجالات عدّة، ولعلّ أحداً من علماء اللغة المعاصرين لم يحظَ بتلك المكانة من قَبْلُ في تاريخ هذا العلم، وقد جسّد "تشومسكي" أفكاره وأبحاثه اللغوية في مقالات كتبها ونشرها في أزمنة متقاربة منها:

• البنى التركيبية أو التراكيب النحوية:

قد فتح "تشومسكي" بهذا الكتاب عهداً جديداً في تاريخ الفكر اللغوي، ويشير فيه إلى بعض ملامح النظرية الجديدة التي جاء بها، وفيه تخطى "تشومسكي" اللسانيات البلومفيلدية التي كانت آنذاك، ويؤرّخ ظهور هذه النظرية إلى عام 1957 تاريخ نشر هذا الكتاب، إذ تكمن أهميته في كونه الدستور الأوّل للنظرية التي جاء بها "تشومسكي" والتي أحدثت ثورة في الدراسات اللغوية في أمريكا، وأتت بمفاهيم لغوية جديدة.

وهذا الكتاب هو أساس النظريات التوليدية التحويلية الواسعة الانتشار، والتي لم تقتصر أهميتها على دراسة اللغة فحسب، بل في مواضيع أخرى عديدة كالآداب والنقد وعلم النفس¹.

• البنى المنطقية للنظرية اللسانية:

ويحاول "تشومسكي" في هذا المؤلّف تحديد معرفة المتكلم بقواعد لغته الضمنية، ويسعى إلى وضع أساليب تقييم القواعد وتفسيرها، بحيث تتوافق القواعد الموضوعية مع هذه الأساليب التي تحتوي عليها الألسنية العامة².

¹ نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، (د ط)، القاهرة، (د ت)، ص 132-133.

² المرجع نفسه، ص 133-134.

● ملامح النظرية التركيبية:

يحتوي هذا الكتاب على أهم آراء النظرية التوليدية التحويلية، وفيه يميز "تشومسكي" بين الكفاية اللغوية والأداء الكلاسيكي، وقد استعمل فيه ولأول مرة مصطلحي البنية السطحية والعميقة، ويسمي نظريته هذه بالنظرية النموذجية، ويبرز الكتاب الأفكار التالية:

- تحديد مفهوم الكفاية اللغوية بأها معرفة المتكلم الضمنية بقواعد لغته.
- تحديد مفهوم الأداء الكلامي وتظهر هذه المعرفة في عملية التكلم.
- تحديد مفهوم الأصولية¹.

● اللسانيات الديكارتية:

وفيه تناول "تشومسكي" الفرضيات المتعلقة بمميزات الفكر، وبالمخططات الذهنية الأساسية التي يفرضها العقل في عملية تحليل المعاني على عملية اكتساب اللغة، من خلال المعطيات المتوفرة للتحليل، ويتبين من خلال هذا الكتاب تقارب نظرية "تشومسكي" مع آراء "ديكارت" و"همبولت"، ويشير إلى الأبعاد العقلانية التي تشير إليها فلسفتها وتقوم عليها نظريته، ذلك أن اللسانيات والفلسفة وعلم النفس عند "تشومسكي" ليست مستقلة عن بعضها البعض².

¹ المرجع السابق، ص 134.

² المرجع نفسه، ص 134-135.

• الأنماط الصوتية في اللغة الإنجليزية:

ووضعه "تشومسكي" بالاشتراك مع اللساني "موريس هال"، ويتناول هذا الكتاب:

- الفرضيات اللسانية التي تنطلق منها دراسة الأصوات اللغوية.

- النظرية الفونولوجية التوليدية التحويلية وفونولوجيا الإنجليزية.

كما يتعمق في هذا الكتاب في بني الفونيمات الإنجليزية ويقدم القواعد الفونولوجية المناسبة وتنظيم السمات الفونولوجية الكلية¹.

• اللغة والفكر:

ويضم هذا الكتاب ثلاث محاضرات، كان قد ألقاها "تشومسكي" في جامعة "بريكلي" عام

1987.

- المحاضرة الأولى: الماضي، ويتضمن المساهمات السابقة في البحث اللساني الحالي.

- المحاضرة الثانية: الحاضر، ويتضمن البحث اللساني.

- المحاضرة الثالثة: المستقبل، ويتضمن الاتجاهات التي يمكن أن تتخذ في مجال دراسة اللغة والفكر.

وركز "تشومسكي" في هذا الكتاب على إبراز فلسفته، فأكبر ما يميز فكره هو تأكيده على ما يُدعى بالعمليات الشكلية، وهي المبادئ العامة التي تحقق شكل القواعد وطريقة عملها نحو اللغات المختلفة².

¹ المرجع السابق، ص 135.

² المرجع نفسه، ص 136.

● مسائل المعرفة والحرية:

يحتوي هذا الكتاب على محاضرتين ألقاهما في معهد الثالث الأقدس جامعة "كامبردج"، حيث يجلّ فيه "تشومسكي" القضايا الفكرية المرتبطة ببعض المسائل التي آثرها كتابات الفيلسوف الإنجليزي "راسل"¹.

● دراسات الدلالة في القواعد:

وفي هذا الكتاب عدّل "تشومسكي" بعض المسائل في النظرية النموذجية التي سبق أن تعرّض لها في كتابه "البنى التركيبية"، كما يحتوي أيضا هذا الكتاب على الانتقادات التي يوجهها "تشومسكي" إلى النظرية اللسانية بعد إدخال التعديلات التي وضعها².

● المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها:

ويعدّ هذا الكتاب أكثر كتب "تشومسكي" في تحديد الصورة التي تتخذها الآن النظرية التحويلية، كما أنه يمثّل وقفة تأمل موضوعي واعٍ ويقظ في صورة النقد التي وجهت إلى النظرية، والاقترحات التي قدّمت لتطويرها ووصل بها إلى ما يعرف الآن باسم "نظرية الربط والعمل" أو "نظرية الربط العامل"³.

● تأملات حول اللغة:

يشير "تشومسكي" في هذه التأملات إلى مسائل دراسة اللغة وما تتضمنه هذه الدراسات، فيتساءل كيف بإمكان الإنسان أن يكتسب تنظيمات معرفية ومعتقدات وقيم هي في الواقع غنية جدا، بالرغم من أن تجربته الشخصية محدودة جدا⁴.

¹ المرجع السابق، ص 136.

² المرجع نفسه، ص 136-137.

³ المرجع نفسه، ص 137.

⁴ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 22-23.

- دراسات في الشكل والتفسير:

يتناول تشومسكي في كتابه هذا الشروط المحددة التي تخضع لها التحويلات في عملها، ويشير إلى الشروط التي تحدد إجراء التحويلات ونوعية العمليات التي يقوم بها التحويل، ويرى أنه لا بد من تقييد فئة القواعد التحويلية وفقاً لمقدرة الانتاج على اكتساب اللغة¹.

إضافة إلى هذه الكتب التي تشغل أهمية قصوى في النظرية التوليدية التحويلية، أُلّف بعدها تشومسكي العديد من الكتب منها:

- اللغة ومشكلات المعرفة².
- اللغة والمسؤولية³.
- آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل⁴.

¹ المرجع السابق، ص 23.

² نعوم تشومسكي، اللغة والمشكلات المعرفة، تر: حمزة من قبالان المزيبي، دار توبقال، (ط 1)، المغرب، 1990.

³ نعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، (ط 2)، القاهرة، 2005.

⁴ نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في اللغة والعقل.

إضافة إلى هذه الكتب، نشر تشومسكي عدّة مقالات وكذا المراجعات التي تناولت كتباً متفرقة بالمراجعة وإعادة القراءة، نذكر منها:

- مراجعة كتاب "سكنر" للسلوك الكلامي.
- مراجعة كتاب الفونولوجيا لـ "هوكيت".

كما نشر مقالات متنوعة من بينها:

- "البنى المنطقية في اللغة" في مجلة التوثيق الأمريكي عام 1956.
- "اللغات المحدودة الحالات" بالاشتراك مع "جورج ميلر" في مجلة الإعلام والمراقبة عام 1958.
- "بعض الخصائص الشكلية للقواعد" في مجلة الإعلام والمراقبة عام 1969¹.
- "الدراسات الصوتية_الصرفية في اللغة الإنجليزية" بالاشتراك مع "موريس هال" في التقرير الفصلي في التطور.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ تشومسكي قد كتب فصلاً من كتاب علم النفس الرياضي، وفصلين منه بالاشتراك مع "جورج ميلر" سنة 1963.

واستطاع تشومسكي وزملاؤه في معهد ماساتشوستس التكنولوجي إنشاء قسم الألسنية، ويشير تشومسكي إلى تأسيس هذا القسم في كتاب محاورات مع مستو رونات².

¹ نعمان بوقرة، رجع السابق، ص138.

² ميشال زكريا، المرجع السابق، ص16-17.

المبحث الثاني: نظرية تشومسكي في اكتساب اللغة

تعدُّ نظرية اكتساب اللغة وتعلُّمها، من أهم الإشكالات التي عرَفَتْها الساحة العلميَّة اللغوية والاجتماعية، فقد توسع نطاق اهتمامات علوم اللغة الحديثة، ولم يعد الأمر مقتصرًا على الجوانب النظرية والتحليلية - كما كان في السابق - بل تعدَّاه إلى ظهور علوم تطبيقية تعتمد الملاحظة والتجارب والتطبيقات الفعَّالة في الواقع المحسوس الملموس.

1- تعريف اللغة عند تشومسكي:

يستطيع كلُّ إنسان أن ينشأ في بيئة معيَّنة، والتعبير بلغة هذه البيئة، وهذا يعني أن بإمكانه فهم عدد غير متناه من جمل هذه اللغة وصياغتها حتى ولو لم يسبق له سماعها من قبل، وليست مقدرة الإنسان محدودة، بل بإمكانه في كلِّ آن وبصورة عفوية فهم جمل اللغة وصياغتها، ويتم له ذلك بإتباعه في الحقيقة قواعد معيَّنة يكتسبها من ضمن اكتسابه اللغة¹.

عرَّف تشومسكي في كتابه "البنى التركيبية" اللغة قائلا: >> من الآن فصاعداً سأعدُّ اللغة مجموعة متناهية وغير متناهية من الجمل، كلُّ جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر، وكلُّ اللغات الطبيعية في شكلها المنطوق والمكتوب هي لغات بهذا المعنى، وذلك لأنَّ كلَّ لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات أو الحروف ومع هذا فإنَّ عدد الجمل غير متناه<<².

¹ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات، (ط 2)، بيروت، 1986، ص 7.

² أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، (ط 2)، الجزائر، 2005، ص 209.

وإذا لاحظنا نظرة تشومسكي إلى الجمل فنجدها تختلف اختلافاً كبيراً عن النحاة أو دارسي اللغة عموماً، فالجملة المقبولة عنده هي الجمل النحوية، حيث قد يكون طولها غير محدود، ووضّح ذلك بالمثال الآتي: <<هذا الرجل الذي تزوّج البنت التي ألّفت كتاباً...>>، حيث يؤكّد على أنّ النقاط هي امتداد لتوسيع الجملة أو إمكانية الإضافة لها، وهذه الجمل وإن كانت عناصرها محدودة فهي متناهية وهي تعكس الجانب الإبداعي في اللغة¹.

وإذا ما لاحظنا مثل هذه الدراسات الخاصة بالجملة في الدرس اللغوي العربي نجد أنّ النحاة تعرّضوا إلى طول الجملة، فهذا ابن هشام الأنصاري قد أطلق مصطلح "الجمل الكبرى" في مقابل الجمل المركبة التي تتكون من عدّة جمل أو أحد طرفيها جملة كالجملة الاسمية التي خبرها جملة اسمية كانت أم فعلية، فالاسمية نحو: زيد أبوه قائم، حيث أنّ الجملة "أبوه قائم" المتكوّنة من المبتدأ والخبر هي جملة واقعة خبر للمبتدأ "زيد"، والفعلية نحو: المسلم يقتدي برسول الله، حيث أنّ الجملة الفعلية "يقتدي برسول الله" واقعة خبراً للمبتدأ "المسلم"².

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 209.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 209.

2- نظرية تشومسكي اللغوية:

يرى تشومسكي أنّ قواعد اللغة عند الإنسان مكتسبة، لأنّ الإنسان يولد مزوداً بقدرات طبيعية فطرية تساعده على اكتساب قواعد لغته، وهذه القواعد هي التي تمكّنه من إنتاج جمل عديدة في اللغة فيقول: >> إذا اعتبرنا أنّ القواعد اللغوية هي التي تكوّن تصور المعرفة المكتسبة أو تؤلّف على الأقل أحد المكونات الأساسية لهذه المعرفة، فإنّ الملكة يمكن اعتبارها من الخصائص الراسخة لدى الإنسان، ومن المكونات الأساسية للعقل الإنساني، كما أنّها تحوّل هذه الخبرة إلى قواعد، وأعتقد أنّ النظرية اللغوية العامة أو نظرية القواعد الكلية تخص عملية الاكتساب هذه<<¹.

فيتّضح من كلام تشومسكي أنّه يركز على الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي لدى الفرد.

2_1- الكفاءة اللغوية:

يُسمّى تشومسكي القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة بالكفاءة اللغوية، ويشير مصطلح الكفاءة اللغوية إلى قدرة المتكلم المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني، في تناسق وثيق مع قواعد لغته.

هذه الكفاءة ينطبع عليها الإنسان منذ طفولته، وخلال مراحل اكتسابه اللغة، وترتبط بصورة وثيقة بقواعد اللغة.

فمن الواضح جداً أنّ للجمل معنى خاصاً تحدده القاعدة اللغوية، وأنّ كل من يمتلك لغة معينة قد اكتسب في ذاته، وبصورة ما تنظم قواعد تحدد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص، فهذا الإنسان قد طوّر في ذاته ما نسميه بالكفاءة اللغوية الخاصة².

¹ ابراهيم محمد ابراهيم محمد عثمان، من المدارس الألسنية_ المدرسة التوليدية التحويلية _ (محاضرة)، جامعة عمر المختار، ص 9 .

² ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 32.

يقرن التنظيم اللغوي بين الصوت اللغوي وبين المعنى على نحو مخصص، ويمكن ترجمته امتلاك اللغة على الصعيد المبدئي بالقدرة على تفهّم ما يقال في اللغة، أي القدرة على إعطاء الأصوات الملفوظة معنى مختصاً، وبالقدرة أيضاً على إنتاج الإشارات الكلامية التي تحتوي على تفسير دلالي يراد التعبير عنه، فحين يمتلك الإنسان لغة معيّنة، وبصورة طبيعية يكون بإمكانه في واقع الحال استخدامها في مختلف الظروف الكلامية، وذلك من خلال إلمامه بالقواعد الذاتية للغة.

ومن هذه الزاوية، يمكن تحديد الكفاءة اللغوية بأثما معرفة الإنسان الضمنية باللغة، أو بالأحرى هي معرفة الإنسان الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية التكلّم بها، وبالإمكان التمييز بين المعرفة باللغة من جهة، وبين استعمال اللغة الذي يسمى بالأداء الكلامي من جهة أخرى¹.

2_2-الأداء الكلامي:

يقصد بالأداء الكلامي أو الإنجاز ما يبلغه متكلم أو سامع معيّن عند مباشرته الفعلية للغة، فالأداء الكلامي إذاً هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معيّن وهو حصيلة عمل الآلية اللغوية، وفي الأداء الكلامي يعود المتكلم - بصورة طبيعية - إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلاً ما استخدم اللغة في مختلف ظروف التكلّم، وتتغير صورة الكلام المتلفّظ به من شخص إلى آخر تبعاً لعوامل عديدة كالانتباه والتعب والانفعال، ذلك أنّ الأداء الكلامي وإن يكن ناجماً عن الكفاءة اللغوية، فإنه يتضمن في الحقيقة عدداً من المظاهر الطفيلية، وترجع هذه المظاهر الطفيلية إلى عوامل مترابطة خارجة عن إطار اللغة، نذكر منها هنا العوامل السيكلوجية (ضعف الذاكرة، الانفعال، عدم الانتباه)، والعوامل السوسيو ثقافية (الانتماء إلى مجموعة اجتماعية، طريقة التدريس اللغوي)².

فالأداء الكلامي إذاً لا يتحقق بالفعل إلاّ بعزل المتكلم عن مجموع المؤثرات التي تتداخل مع الكفاءة اللغوية، فالأداء الكلامي أو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في

¹ المرجع السابق، ص33.

² نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، (ط 1)، الأردن، 2009، ص149.

تراكيب جُمليّة خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة والمسؤولة عن تنظيم هذه الفونيمات والمورفيمات في تراكيبها، فالأداء هو الوجه الخاص الذي يظهر في شكل الكلام المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة¹.

ومن هنا يظهر الفرق واضحاً بين الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي، فالأولى تعني القدرة الضمنية للغة، والثانية هي الإنجاز الفعلي لهذه القدرة².

والذي نلاحظه أنّ هذه الفكرة ليست جديدة، فكما سبق وأن رأيناها عند ابن خلدون*، ودو سوسير أيضاً تعرّض لها ولكن مع اختلاف التسمية فقط³.

من أهم الثنائيات التي أسس دو سوسير عليها قواعدها هي ثنائية "اللغة والكلام"، فاللغة عنده تعني الجانب الاجتماعي التواضعي من الظاهرة اللسانية، واللفظ هو الجانب الذاتي، والاستعمال الشخصي لكلّ متكلّم، واللغة بمثابة قاسم مشترك، لا وجود له في صورته الكاملة إلاّ في مستوى المجموعة، واللفظ هو عمل الفرد وممارسته بالاعتماد على تلك المعرفة المشتركة، فاللغة عند دو سوسير هي تنظيم الإشارات الذي يعبر عن أفكار، وهي كلّ بذاته ومبدأ تصنيف، أمّا الكلام فهو الاستعمال الفردي الذي يتلفّظه الأشخاص وهو تأدية جزء من هذا الرصيد (اللغة).

إنّ الفرق بين ثنائيّتي (اللغة/الكلام) و (القدرة/الإنجاز)، أنّ دو سوسير يرى أنّ اللغة هي قدر مشترك بين أعضاء الجماعة اللغوية، بينما مفهوم الملكة عند تشومسكي يتمثّل في المعرفة الضمنية للمتكلّم، إذ لا علاقة لهذه المعرفة بالجماعة، إنّما هي مرتبطة بالمتكلّم⁴.

¹ المرجع السابق، ص 149-150.

² المرجع نفسه، ص 150.

* يراجع هذا البحث، ص 22_27.

³ نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص 150.

⁴ المرجع نفسه، ص 150.

3- إسهامات تشومسكي في تفسير اللغة:

لقد عرف القرن الماضي ثورة علمية كبيرة مست مجال اللغة بشكل خاص، إذ اكتسحت اللغويات مختلف الحقول المعرفية، حتى غدا هذا القرن قرن اللسانيات بامتياز، فبعدما ذاع صيت اللسانيات البنيوية، وأصبح الباحثون والدراسون على اختلاف مشارهم وتوجهاتهم العلمية والفكرية يتعاملون مع أعمالهم المعرفية، وفق أسس وقواعد النهج البنيوي اللساني الذي قعد له سوسير، ظهر تشومسكي ليؤسس مدرسة لغوية جديدة، قائمة على مبادئ مغايرة لما سبقها من المدارس اللسانية، ولا سيما المدرسة البنيوية، ومستثمرا في الوقت نفسه جهود بعض أساتذته المنتمين إلى التيار التوزيعي، مثل "زيليغ هاريس".

أ- ملاحظات أساسية:

ينطلق نعوم تشومسكي مؤسس المدرسة التوليدية التحويلية، في تحليله للاكتساب اللغوي عند الطفل من الملاحظات التالية:

- يكتسب كل طفل سوي اللغة من دون القيام بأي مجهود يذكر، ومن خلال تعرض شفاف للغة محيطه، ومن دون أن يتدرج عبر تمارين متخصصة، في حين أن القرد وإن بلغ حداً معيناً من الذكاء، لا يمكنه أن يكتسب الأصول الأكثر تبسيطاً في اللغة، فعمل الطفل عمل ذاتي خلّاق ينبغي دراسته من حيث هو خاصية إنسانية مميزة¹.

- إن كلام المحيط الذي يسمعه الطفل من حوله لا يتشكّل من جملة أصولية كاملة، فهو يحوي في الحقيقة على نسبة كبيرة من الجمل الناقصة التي تنحرف عن الأصول اللغوية، كما أنه يشتمل على عدد متناه من الجمل، في حين أن الطفل حين يكتسب لغته يكتسب كفاية لغوية فيها، أي معرفة

¹ ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، (ط 1)، بيروت، 1993، ص 92-93.

ضمنية بقواعد اللغة، التي تتيح إنتاج عدد غير متناه من الجمل المتجددة بشكل دائم وتفهمها، والحكم على أصوليتها¹.

- إنَّ الطفل الذي اكتسب اللغة يكون قد نَمَّى في ذاته تصوّراً داخلياً لتنظيم قواعد اللغة التعقيد، يحدد كيفية تركيب الجمل واستعمالها وتفهمها (الكفاءة اللغوية)، ولا يكتسب الطفل الكفاءة اللغوية فحسب، بل يكتسب في الوقت نفسه محتوى الكلام كحقيقة بحدِّ ذاتها، ويمتلك تقنية التواصل أي يمتلك ما نسميه بالكفاءة اللغوية المراسية².

- ينبغي أن لا تتعدّى خصائص اللغة المكتسبة قدرات الطفل الذهنية على استيعابها وإلاّ تعذّر عليه اكتسابها، هذا مع العلم أنّ اللغة المكتسبة تنظيم لغوي غني ومعقد ولا يمكن تحديده عبر المظاهر اللغوية الجزئية³.

تسلّط هذه الملاحظات أضواء جديدة على عملية اكتساب اللغة عند الطفل، إذ تجعل من الطفل في الواقع الموضوع الأساسي لدراسة الاكتساب.

ب- الحالة الأساسية للعقل:

ترى النظرية الألسنية التشومسكية أنّ الطفل يملك بالفطرة تنظيماً ثقافياً يمكن تسميته بالحالة الأساسية للعقل، فمن خلال التفاعل مع البيئة، وعبر مسيرة النمو الذاتي، يمرّ العقل بتتابع حالات تتمثّل فيها البنى المعرفية، وفيما يتعلّق باللغة تحصل تغيرات سريعة نسبة إلى الحالة الأساسية للعقل خلال المرحلة الباكرة للطفولة، وبعدها تكتمل حالة عقلية صلبة وثابتة تتعرض فيما بعد لتغيرات طفيفة فقط، نشير إلى هذه الحالة الصلبة على أنّها حالة نهائية للعقل، تتمثّل فيها معرفة اللغة بطريقة

¹ المرجع نفسه، ص 93.

² المرجع نفسه، ص 93.

³ المرجع نفسه، ص 93.

معينة عند الإنسان، وهي حالة ثابتة يتوصّل إليها الطفل خلال نموّه البيولوجي، وتنجم عن تطوّر عصبي عبر تعرّض ملائم لمعطيات لغوية¹.

إنّ الأسئلة التي بإمكان الباحث طرحها بالنسبة إلى الحالة الأساسية أسئلة متعددة، نشير هنا إلى بعضها وهي التالية:

1- ما هي طبيعة الحالة الأساسية؟

2- ما مدى درجة تمايزها؟ وما هو أصل مختلف البنى المختصّة المنتظمة ضمنها؟

3- ما هي علاقتها بالقدرات الذهنية الأخرى وبالذات بالذكاء العام؟

4- ممّ تتكوّن الطبيعة الإنسانية في هذا المجال؟

5- ما هي العوامل التي تعمل بحيث يتمّ الاكتساب على النحو الذي يتمّ فيه؟².

إنّ الأجوبة عن هذه الأسئلة تكاد تكون محدودة جدّاً، وذلك لأنّه ليس بالإمكان في المجال العلمي البرهنة بواسطة الأدلّة المقنعة على أنّ الميزة المعينة هي ميزة فطرية، ففي مجال العلوم الطبيعية بالإمكان فقط تكثيف المعطيات التي يكون من خلالها بالإمكان تقديم فرضيات معقولة، والاستعانة بأدلّة مباشرة ومعقّدة، وفي حال يتمّ اكتساب تنظيم معقّد من المعارف بشكل سريع وعلى النمط نفسه عند الطفل الإنساني وعبر معطيات محدودة ومتبدّلة، يميل الباحث إلى الاعتقاد بوجود حقيقة علمية، أو عضو عقلي ذي بنية خاصة، ومن ثمّ يسعى للتوصّل إلى تحديد طبيعته وخصائصه والمجال المعرفي الذي يتعلّق به، وعلاقته ببقية التنظيمات التي تنتمي إلى البنية العامة للفرد البشري³.

¹ المرجع السابق، ص 94.

² المرجع نفسه، ص 94.

³ المرجع نفسه، ص 94.

ج-البنى الفطرية:

ليست المسألة في نظر تشومسكي هي التساؤل هل إنَّ الاكتساب قائم على وجود بني فطرية، فهو في رأيه قائم من دون شك على ذلك، إنّما المسألة الحقيقية هي إدراك ماهية هذه البنى الفطرية، ووجود بني فطرية مسألة مسلّم بها في النظرية الألسنية التشومسكية، حيث يقول تشومسكي: >> لا توجد أي معطيات سرّية أساساً في مفهوم بنية معرفية مجردة، توجد لها قدرة فطرية في الذهن، تتمثل في العقل بطريقة مجهولة حتى الآن، وتدخّل ضمن تنظيم المهارات والاستعدادات للعمل وللتفسير<<¹.

إذاً القدرات الفطرية هي التي تجعل من عملية الاكتساب عملية بالإمكان إنجازها، ذلك لأن نمو الإنسان اللغوي مزوّد ببعض الاستعدادات والقدرات والبنى والبرامج الفطرية والمتمثلة في الحالة الأساسية، يقول تشومسكي في هذا الصدد: >> إنَّ التعلّم في البدء مسألة ملء بالتفصيل لداخل بنية هي فطرية<<².

إذاً بالإمكان النظر إلى الحالة الأساسية على أنّها بمثابة دالة تطبّق الخبرة على الحالة الثابتة بواسطة تنظيم كامل من القواعد متوافر للطفل، فتتكوّن بالتالي من تنظيم أوّليات عامة تولّد الحالة النهائية من خلال أخذ الخبرة بعين الاعتبار، فالنمو اللغوي يرتدّ في الأساس إلى الحالة الأساسية عندها تتوفر لها الإشارة الملائمة: >> الشرط الذي ينبغي توافره للأوّليات الفطرية لكي تعمل، هو تقديم الإشارات الملائمة<<³.

إنَّ خصائص المبادئ الفطرية وليس مسار التجربة اللغوية، هي التي تحدّد إذاً الحالة الصلبة التي تتمثل فيها القواعد، من هنا نتوقّع وجود علاقة وثيقة بين الملكة الذهنية الفطرية وبين التنظيم اللغوي، ذلك لأنّ القواعد إنّما تكتسب من خلال عمل المبادئ الفطرية في كلام المحيط⁴

¹ المرجع السابق ، ص 95-96.

² المرجع نفسه ، ص 96.

³ المرجع نفسه ، ص 96.

⁴ المرجع نفسه، ص 96.

وهذا ما يدفع تشومسكي إلى القول: <<ففي ما يختصّ باللغة، فإنه من الطبيعي أن نتوقع قيام علاقة وثيقة بين خصائص الذهن الفطرية وبين سمات البنية اللغوية، ذلك لأنّ اللغة لا وجود لها في الحقيقة خارج تصوّرها العقلي، فمهما كانت خصائصها، فهي تختصّ بها عبر المسار العقلي الفطري للجهاز العضوي الذي أوجدها في كلّ جيل<>¹.

د-الكليات اللغوية:

يكتسب الطفل الإنساني أي لغة من اللغات بغضّ النظر عن جنسيته، يكفي لذلك أن يتعرّع في بيئة تتكلم اللغة التي سوف يكتسبها، ومن ثمّ يقتصر عمل البنى الفطرية على تحديد اللغة المكتسبة من ضمن مجموعة اللغات المحتملة، أي من ضمن القواعد الكلية أو الكليات اللغوية².

من هنا بالإمكان القول إنّ القواعد الكلية هي أقرب ما تكون إلى هذه البنية الأساسية، وإنّ الكليات اللغوية هي مزايا تنتمي إلى الحالة الأساسية كجزء من مجموعة قوالب تصوّرية خاصة باللغات الإنسانية، تقدّم مخططاً يطبّق على المعطيات اللغوية، فتحدّد بشكل ضابط القواعد الخاصة التي تنبثق عبر التّعرض للمعطيات اللغوية³.

ويُظهر تشومسكي التماثل بين القواعد الكلية والحالة الأساسية للعقل فيقول: <<لنفترض أننا نضفي على الفكر كسمة فطرية له، نظرية لغوية عامة نسمّيها بالقواعد الكلية، فهذه النظرية تحدد تنظيم قوانين متفرّغ يخصّص الهيكلية البنائية لكلّ لغة، ويقدم تشكيلة شروط ينبغي أن تتقيّد بها كلّ صياغة تضع القواعد على نحو متعمّق، وعلى هذا الشكل تُوفّر القواعد الكلية رسماً تخطيطياً تتقيّد به كلّ قواعد خاصة بلغة معينة<>⁴.

¹ المرجع السابق، ص 97.

² المرجع نفسه، ص 97.

³ المرجع نفسه، ص 97.

⁴ المرجع نفسه، ص 97.

لابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ القواعد الكلية هي التنظيم المؤلّف من مبادئ وشروط وقواعد تكوّن عناصر أو خصائص كل لغات العالم، أي الخصائص المشتركة بين اللغات الإنسانية، ولا تقوم هذه الخصائص عرضاً، إنّما تقوم بالضرورة (المقصود هنا الضرورة البيولوجية وليس المنطقية)، فتبيّن مزايا اللغة الإنسانية اللازمة بيولوجياً، وتكون الهيكلية العظمية لبنية القوانين التي تخضع لها كل لغة إنسانية، كما أنّها تحتوي على المبادئ التي تنتظم بها قواعد كل مستوى من مستويات اللغة، وعلى تداخل العلاقات بين القواعد فيما بينها، وتحتوي القواعد الكلية أيضاً على الشكل الذي تتخذه القواعد العامة، وعلى مبادئ عامة كلية، وعلى مجموعة الفئات المثبتة والمحرّدة التي تؤخذ منها العناصر الخاصة بكلّ لغة (السمات الفونولوجية، السمات الدلالية، وفئات الاسم والفعل)¹.

هـ- نظرية الاكتساب اللغوي:

في ظل هذه المبادئ الفطرية تعمل المعطيات اللغوية المتوافرة للطفل في محيطه كقواعد لشرارة الاكتساب، فالحيث اللغوي يحرّك أوالية الاكتساب اللغوي من دون أن يكون بمقدور هذه المعطيات وهذه الخبرات اللغوية التي تؤثر على جهاز الاكتساب².

وغني عن الذكر أنّ عملية الاكتساب لكي تتم يجب أن يتوفر للطفل فيها محيط لغوي مناسب، فالحيث اللغوي يمتلك بنية خاصة به، إلاّ أنّ بنية جهاز الاكتساب تأتي من الداخل، وتتطور بالذات وفقاً لبرنامج خاص بالجنس الإنساني، فبإمكان المحيط اللغوي أن يطلق أواليات الاكتساب، أو أن يلجمها، إلاّ أنّه ليس بمقدوره ان يُقوّلها من خلال نقل بناه إليها، ويقتصر بالتالي عمل المحيط اللغوي على إطلاق برامج مقرّرة سلفاً³.

¹ المرجع السابق، ص 97-98.

² المرجع نفسه، ص 98.

³ المرجع نفسه، ص 98.

تحتلّ نظرية اكتساب اللغة مكاناً بارزاً في اهتمامات تشومسكي اللغوية لارتباطها بالمبادئ الجردّة التي تتحكّم ببنية اللغة، ويتم بنظره وضع نظرية الاكتساب على النحو التالي: <>لتأمل أولاً كيف يتصرّف العالم عندما يدرس هذه المسألة (نظرية الاكتساب)، فأول خطوة يقوم بها بشكل طبيعي تكون في أن يختار جهازاً عضوياً ومجالاً معرفياً محدّداً بصورة معقولة، وفي أن يحاول بناء نظرية يمكن تسميتها نظرية تعلّم الجهاز العضوي في المجال المعرفي، وهذه النظرية يمكن النظر إليها كتنظيم من المبادئ وكآلية أو كخاصية لها بعض المدخلات وبعض المخرجات، فالمدخلات هي تحليل المعطيات في المجال المعرفي من قبل الجهاز العضوي، والمخرجات تكون بنية معرفية بشكل ما، فالبنية المعرفية هي أحد عناصر المرحلة المعرفية التي يتوصّل إليها الجهاز العضوي¹، وعلى سبيل المثال لنعبر أنّ الجهاز العضوي هو الإنسان، والمجال المعرفي هو اللغة، فنظرية التعلّم المختصّة بالإنسان في مجال اللغة، تغدو تنظيم المبادئ الذي يتوصّل بواسطة الإنسان إلى المعرفة اللغوية²<<

ومن هذا المنظور ينبغي أن تحتوي نظرية الاكتساب على معلومات حول ثلاث حيثيات هي:

1- طبيعة القواعد المكتسبة.

2- المبادئ الفطرية التكوينية.

3- الخبرة اللغوية الضرورية لإطلاق المبادئ الفطرية³.

¹ المرجع السابق، ص 98-99.

² المرجع نفسه، ص 99.

³ المرجع نفسه، ص 99.

ملخص الفصل الثاني:

من خلال تتبعنا لنظرية تشومسكي في اكتساب اللغة وإسهاماته فيها، توصلنا إلى مجموعة من النقاط أهمها:

- تحتلّ نظرية اكتساب اللغة مكاناً بارزاً في اهتمامات تشومسكي اللغوية لارتباطها بالمبادئ المحرّدة التي تتحكّم ببنية اللغة.

- يُعدُّ تشومسكي اللغة مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، كلّ جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر.

- يرى تشومسكي أنّ قواعد اللغة عند الإنسان مكتسبة، لأنّ الإنسان يولد مزوداً بقدرات طبيعية فطرية تساعده على اكتساب قواعد لغته.

- يُركّز تشومسكي في عملية الاكتساب اللغوي على مصطلحين اثنين هما الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي.

- الكفاءة اللغوية عند تشومسكي هي القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة، أمّا الأداء الكلامي فهو الاستعمال الآني ضمن سياق معيّن، وهو حصيلة عمل الآلية اللغوية.

- في نظر تشومسكي الاكتساب قائم على وجود بني فطرية، وهي التي تجعل من عملية الاكتساب عملية بالإمكان إنجازها، وذلك لأنّ نمو الإنسان اللغوي مزود ببعض الاستعدادات والقدرات والبنى والبرامج الفطرية والمتمثّلة في الحالة الأساسية للعقل.

- من منظور تشومسكي ينبغي أن تحتوي نظرية الاكتساب على معلومات حول ثلاث حثيات هي: طبيعة القواعد المكتسبة، المبادئ الفطرية التكوينية والخبرة الضرورية لإطلاق المبادئ الفطرية.

الفصل الثالث

أوجه التشابه والاختلاف بين ابن خلدون وتشومسكي.

– أوجه التشابه.

– أوجه الاختلاف.

– خلاصة لنتائج التشابه والاختلاف.

الفصل الثالث: أوجه التشابه والاختلاف بين ابن خلدون وتشومسكي.

نحاول فيما يلي إبراز بعض المسائل التي تظهر في يقيننا مدى التقارب والاختلاف بين ابن خلدون وتشومسكي في النظر إلى مسألة الاكتساب اللغوي:

1-أوجه التشابه:

من خلال تتبعنا لدراسة الاكتساب اللغوي عند كل من ابن خلدون وتشومسكي توصلنا للعديد من نقاط التشابه أهمها:

• تعريف اللغة من حيث أنها ملكة لسانية:

يعرّف تشومسكي اللغة من حيث أنّها ملكة لسانية يكتسبها الإنسان خلال ترعرعه في بيئة معينة، وقد أسلفنا أنّ ابن خلدون يعرفها من هذا المنظور ذاته¹.

• التمييز بين الملكة اللسانية وبين صناعة اللغة:

تختلف الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون عن صناعة العربية، فهو يشير إلى ذلك صراحة: <<من هنا يُعلم أنّ تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأنّها مستغنية عنها بالجملة>>²، ومع ذلك لا يغفل ابن خلدون عن الإشارة إلى العلاقة القائمة بين الملكة اللسانية وبين صناعة العربية: <<ذلك أنّ صناعة العربية هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها الخاصة، فهو علم بكيفية، لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماء، ولا يُحكمها عملاً>>³.

¹ ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص111.

² المرجع نفسه، ص111.

³ المرجع نفسه، ص112.

وإلى نظير ذلك يذهب تشومسكي عندما يميز بين الملكة اللسانية أو الكفاءة اللغوية وبين الأداء الكلامي¹.

• التمييز بين الملكة اللسانية وقواعد اللغة:

يقول ابن خلدون في هذا الصدد: >>وهكذا العلم بقوانين الأعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإن العلم بقواعد الأعراب إنما هو بكيفية العمل وليس هو نفس العمل <<².

وهذا التمييز إنما يعزى إلى خاصية الملكة اللسانية من حيث هي المعرفة بشكل أو بآخر بقواعد اللغة، وليست بالتالي هي قواعد اللغة، وهذا التمييز يوليه تشومسكي عنايته³.

• النظر إلى الملكة اللسانية على أنها صفة راسخة في نفس الإنسان:

تُمكن الملكة اللسانية الإنسان من القيام بالأعمال العائدة إليها، فالملكة اللسانية عند ابن خلدون: >>صفة راسخة تحصل نتيجة استعمال ذلك الفعل وتكراره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته، على نسبة الأصل تكون الملكة <<⁴، فالملكة تولد بسبب التكرار حتى تصبح راسخة وأصلية في النفس.

أما عند تشومسكي فيعرفها: >>فإن الملكة يمكن اعتبارها من الخصائص الراسخة لدى الإنسان، ومن المكونات الأساسية للعقل الإنساني <<⁵.

¹ المرجع السابق، ص112.

² المرجع نفسه، ص112.

³ المرجع نفسه، ص112.

⁴ عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، (ط 1)، بيروت، 2003، ص181.

⁵ ابراهيم محمد ابراهيم محمد عثمان، من المدارس الألسنية _ المدرسة التوليدية التحويلية، ص 9.

- الاعتقاد بسبق الملكة الأولى ورسوخها وبنقصان أية ملكة لسانية لاحقة:

يقول ابن خلدون: >> مما قدمناه من أن الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المحلّ فلا تُحصَلُ إلّا ناقصة مخدوشة <<¹.

ونلاحظ هذا الاعتقاد عند تشومسكي الذي لا يأخذ إلّا بالحدس اللغوي لمتكلم اللغة في لغته الأم، أي بالملكة اللغوية الأولى².

- التمييز بين الاكتساب اللغوي وتعلّم اللغة، وتوظيف المعرفة بمسار الاكتساب اللغوي في مجال تعلّم اللغات:

وعى تشومسكي وابن خلدون للعلاقة القائمة بين اكتساب اللغة وتعلّم اللغة، وأدركا ضرورة الاستفادة من المعرفة بقضايا الاكتساب وتوظيفها في مجال تعلّم اللغة³.

- الإقرار بوجود حالة أساسية فطرية عند الإنسان تنطلق منها عملية الاكتساب وإن لم يتطرّق ابن خلدون في وصفها:

يعتقد ابن خلدون ضمناً بوجود هذه الحالة الأساسية حين يقول: >> فإنّ الملكات إذا استقرّت ورسخت في مجالها ظهرت كأثما طبيعية، وجبلة لذلك المحل <<⁴.

أو حين يقول: >> فإنّ هذه القوانين (التي استنبطها أهل صناعة اللسان) إنّما تفيد علماً بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلّها <<⁵.

¹ ميشال زكريا، المرجع السابق، ص112.

² المرجع نفسه، ص112.

³ المرجع نفسه، ص110.

⁴ عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، (د ط)، بيروت، 1961، ص1085.

⁵ المرجع نفسه، ص1086.

فالإنسان إذاً مهياً لاكتساب اللغة، وبحصول الاكتساب تستقرّ الملكة في مكانها المعدّ سابقاً في النفس الإنسانية، وهذه النظرة إلى حصول الملكة أو اكتسابها لا تختلف كثيراً عن نظرة تشومسكي الذي يقول: <<إنّ التعلّم هو في البدء مسألة ملء بالتفاصيل لداخل بنية هي فطرية >>¹.

● الاعتقاد بأنّ الاكتساب اللغوي يمرّ بعدة مراحل أو حالات إلى أن يستقرّ في حالة ثابتة وصلبة تتمثّل فيها الملكة:

يمرّ اكتساب اللغة بمراحل عديدة، وفي ذلك يقول ابن خلدون: <<الملكات لا تحصل إلاّ بتكرار الأفعال، لأنّ الفعل يقع أولاً، وتعود منه للذات صفة ثم تتكرّر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنّها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة >>². وهذا ما يؤكّد عليه تشومسكي.

¹ ميشال زكريا، المرجع السابق، ص 113.

² ابن خلدون، المرجع السابق، ص 1071.

2- أوجه الاختلاف:

من خلال تتبعنا لكل من ابن خلدون وتشومسكي في دراستهم للاكتساب وجدنا بعض الاختلافات البسيطة وهي:

● اللغة:

يظهر الاختلاف عند ابن خلدون في أنّ اللغة أداة من أدوات النفس، فيقول: <<ثم إنّ هذه النفس الإنسانية غائبة عن العيان وآثارها ظاهرة في البدن، فكأنّه وجميع أجزائه مجتمعة>>¹.

أمّا تشومسكي فربطها بالعقل عندما قال بأنّها: <<من المكونات الأساسية للعقل الإنساني>>².

وبشكل عام فإنّ تعريف ابن خلدون للغة يتضمّن المسائل التالية:

- لساني.

- قصدي واصطلاحي.

- ملكة لسانية.

- وسيلة للتعبير تختلف من مجتمع لآخر.

- ميزة إنسانية مكتسبة.

أمّا تعريف تشومسكي للغة فيتضمّن المسائل التالية:

- أنّها مجموعة لا متناهية من الجمل.

- أصوات تحتوي على دلالات.

¹ عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ص72.

² ابراهيم محمد ابراهيم محمد عثمان، المرجع السابق، ص9.

- ملكة لسانية لغوية.

- تنظيم ضمني للقواعد.

- ميزة¹.

● الملكة :

إنّ الملكة عند ابن خلدون ترتبط بالاكْتساب، فلقد تناول في قضية تحصيل اللغة _أو ما يعرف باكتساب اللغة_ من منطلق ثابت مفاده أنّ اللغة ملكة طبيعية يكتسبها الإنسان.

أمّا عند تشومسكي فيعتبرها قدرة فطرية تولد مع الإنسان كما ذكرنا سابقاً².

● اكتساب الملكة:

يركّز ابن خلدون على اكتساب الملكة كعنصر مهم في عملية حدوثها، أمّا تشومسكي فيعتبرها محفّزاً فقط، >> فالحيط اللغوي عنده يحركّ أوّلية الاكتساب اللغوي من دون أن يكون بمقدور هذه المعطيات وهذه الخبرات اللغوية أن تؤثر على جهاز الاكتساب <<³.

¹ المرجع السابق، ص9.

² ميشال زكريا، المرجع السابق، ص98.

³ المرجع نفسه، ص98.

3- خلاصة لنتائج التشابه والاختلاف:

من خلال تتبعنا لنقاط التشابه والاختلاف بين العلامة ابن خلدون ومؤسس النظرية التوليدية التحويلية نعوم تشومسكي ، يمكننا تلخيص ما قلناه في النقاط التالية :

- اتفق كل من ابن خلدون وتشومسكي على أن اللغة ظاهرة إنسانية تحكمها الملكة اللسانية.
- يتشابه مفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون والكفاءة اللغوية عند تشومسكي، إذ أن الملكة اللسانية هي القدرة على صناعة العربية، في حين أن الكفاءة هي القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية الاكتساب.
- اتفق تشومسكي وابن خلدون على أن الملكة اللسانية صفة راسخة في نفس الإنسان.
- الاكتساب اللغوي تظهر نتائجه من خلال تفاعل الفرد تفاعلاً إيجابياً داخل مجتمعه والمحيط اللغوي الذي له أهمية كبرى في عملية الاكتساب، إضافة إلى الحالة الأساسية للعقل.
- الاعتقاد في نظر تشومسكي وابن خلدون يسبق الملكة الأولى ورسوخها، وبنقصان أية ملكة لسانية لاحقة.
- فرّق كلاهما بين الاكتساب اللغوي وتعلّم اللغة، وتوظيف المعرفة بمسار الاكتساب اللغوي في مجال تعلّم اللغات.
- أقرّ كل من ابن خلدون وتشومسكي بوجود حالة فطرية عند الإنسان تنطلق منها عملية الاكتساب.
- الاكتساب اللغوي عند ابن خلدون وتشومسكي يمرّ بعدة مراحل إلى أن يستقرّ في حالة ثابتة تتمثل فيها الملكة.

هذه كانت بعض من نتائج التشابه والتقارب بين ابن خلدون وتشومسكي، إذ تكاد أن تكون نظرية واحدة حول مفهوم الاكتساب اللغوي.

لكن بالرغم من هذا لا يعني أنه لا يوجد بعض الاختلافات لكنّها بسيطة وهي:

- نظرية ابن خلدون هي نفسها تقريباً نظرية تشومسكي إلاّ أنّ الاختلاف كان في المسميات، "فالملكة اللسانية" عند ابن خلدون هي "الكفاءة اللغوية" عند تشومسكي، و"صناعة العربية" عند ابن خلدون هي الأداء عند تشومسكي.

- الملكة عند ابن خلدون ترتبط بالاكتساب، أما عند تشومسكي تعتبر قدرة فطرية.

- الاكتساب عند ابن خلدون يكون بالمران والتكرار حتى يصبح ملكة متقرّرة، أما عند تشومسكي فهو إبداع.

كخلاصة لما تقدّم نلاحظ أنّ أوجه التشابه أكثر بكثير من أوجه الاختلاف، فتقريباً كلّ المفاهيم سواء من حيث اللغة أم الاكتساب أم الخصائص، أم من حيث نظرية الاكتساب ككل، إلاّ أنّ الاختلاف كان في المسميات تقريباً وبعض الأمور البسيطة.

خاتمة

إن استعراضنا لنظريتي اكتساب اللغة نابع من شعورنا بأهمية اللغات في عالم اليوم، وهي ضرورة يفرضها الأمر الواقع، وقد أخذت به معظم الأمم المتقدمة والنامية، وذلك لمواكبة التطور وتوسيع المدارك والإطلاع على تجارب الآخرين.

وفي الأخير استطعنا أن نخرج بجملة من الاستنتاجات يمكن أن تكون زبدة هذا العمل:

1- اللغة عند ابن خلدون عبارة عن الوسيلة التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، وتكمن أهميتها أنّها وسيلة التواصل الأولى بين المتكلم والسماع، وأيضاً تُستعمل للتعبير عن مواقف الإنسان من الظروف المحيطة به، وبالتالي هي عمل عقلي أو فعل لساني يقوم بتأديته عبر لسانه.

2- الملكة عند ابن خلدون صفة راسخة في النفس تتم نتيجة استعمال الفعل وتكراره مرّات عديدة، إذ يقول: <> والملكة صفة راسخة تحصل من استعمال الفعل وتكراره مرّة بعد الأخرى حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تحصل الملكة <<، فيؤكّد أهميّة تكرار الأفعال في حصول الملكة.

3- الملكة اللسانية عند ابن خلدون هي مصطلح خاص يقصد به قدرة اللسان على التحكّم في اللغة والتصرّف فيها، إذ يقول: <> اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها اليد <<.

4- يميّز ابن خلدون بين طريقتين من طرق اكتساب الملكة اللسانية وهي:

أولاً: الاكتساب من خلال التمرّع في البيئة.

ثانياً: الاكتساب من خلال الممارسة والتكرار والحفظ.

فابن خلدون يؤكّد على أنّ البيئة التي يحيا فيها الطفل عامل مهم في عملية الاكتساب، وهي عملية تمرّ بمراحل خاضعة لمراحل عمرية عنده تبدأ باكتساب المفردات أولاً ومن ثم التراكيب والجمل

ثانياً، وكلّ ذلك بالاعتماد على السماع، وقد ميز كذلك بين عملية اكتساب اللغة (كمملكة لسانية)، وبين عملية (تعلم اللغة) التي تشمل القواعد والقوانين الضابطة لهذه اللغة.

ولم يقتصر ابن خلدون في حديثه عن اكتساب الملكة اللسانية من خلال سماع لغة البيئة على الطفل فقط، وإنما هي عملية تشمل الصغار والكبار، والمقصود بالكبار عنده أولئك الذين يضطرون للعيش في بيئة لا يتكلم أهلها لغتهم، ويؤكد على الممارسة والتكرار والحفظ، حيث يقول: <<وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتیاد والتكرار>>، ويرى أنّ الحفظ والتكرار لا يكفیان لامتلاك اللغة بل لابدّ من أمر هام وهو الفهم، فالفهم أساس في حصول الملكة اللسانية.

5- تكوين الملكة عند ابن خلدون يعتمد على عنصرين مهمين هما الجودة في التعليم ومملكة المعلم.

6- اللغة عند تشومسكي اللغة عبارة عن مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر.

7- يرى تشومسكي أنّ قواعد اللغة عند الإنسان مكتسبة، لأنّ الإنسان يولد مزوداً بقدرات طبيعية فطرية تساعده على اكتساب قواعد لغته.

8- الملكة عند تشومسكي هي من الخصائص الراسخة لدى الإنسان، ومن المكونات الأساسية للعقل الإنساني.

9- يشير مصطلح الكفاءة اللغوية عند تشومسكي إلى قدرة المتكلم المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني، في تناسق وثيق مع قواعد لغته.

10- الأداء الكلامي عند تشومسكي يُقصد به ما يبلغه متكلم أو سامع معيّن عند مباشرته الفعلية للغة، فهو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معيّن، وهو حصيلة عمل الآلية اللغوية، وفي الأداء الكلامي يعود المتكلم بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلّما استخدم اللغة في مختلف ظروف التّكلم.

11- ترى النظرية الألسنية التشومسكية أن الطفل يملك بالفطرة تنظيمًا ثقافيًا يمكن تسميته بالحالة الأساسية للعقل، فمن خلال التفاعل مع البيئة وعبر مسار النمو الذاتي، يمرّ العقل بتتابع حالات تتمثل فيها البنى المعرفية، وفيما يتعلّق باللغة تحصل تغيرات سريعة نسبة إلى الحالة الأساسية للعقل خلال المرحلة الباكرة من الطفولة إلى أن تستقرّ في حالة ثابتة وصلبة تتمثل فيها الملكة.

12- يكتسب الطفل الإنساني أي لغة من اللغات بغضّ النظر عن جنسيته، يكفي لذلك أن يتعرّع في بيئة تتكلّم اللغة التي سوف يكتسبها، ومن ثمّ يقتصر عمل البنى الفطرية على تحديد اللغة المكتسبة من ضمن مجموعة اللغات المحتملة، أي من ضمن القواعد الكلية أو الكليات اللغوية، وهذه الأخيرة هي مزايا تنتمي إلى الحالة الأساسية.

13- يقول تشومسكي أنه في ظل المبادئ الفطرية، تعمل المعطيات اللغوية المتوافرة للطفل في محيطه كقادح لشرارة الاكتساب، فالمحيط اللغوي يجرّك أوالية الاكتساب اللغوي من دون أن يكون بمقدور هذه المعطيات والخبرات اللغوية أن تؤثر على جهاز الاكتساب، فبإمكان المحيط اللغوي أن يطلق أواليات الاكتساب أو أن يلجمها، إلاّ أنه ليس بمقدوره أن يُقوّلها من خلال نقل بناه إليه، وبالتالي يقتصر عمله على إطلاق برامج مقرّرة سلفاً.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- 1- ابن التوهامي مفتاح الجيلاي، فلسفة الإنسان عند ابن خلدون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 2011.
- 2- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج 1، دط، بيروت، دت.
- 3- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دار الكتاب اللبناني، دط، لبنان، 1979.
- 4- _____، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، ج 2، دار يعرب، ط1، دمشق، 2004.
- 5- دار الفكر، بيروت، 2003.
- 6- اللبناني، دط، بيروت، 1961.
- 7- دط، دت.
- 8- ابن منظور، لسان العرب، ج 12، دار إحياء التراث العربي، دط، بيروت، 1418هـ.
- 9- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2005.
- 10- اسماعيل سراج الدين، ابن خلدون إنجاز فكري متعدد، تح: محمد الجوهري_محمد محسن يوسف، مكتبة الإسكندرية، د ط، مصر، 2008.

- 11- بوقرة نعمان، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2009.
- 12- _____، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، دط، القاهرة، دت.
- 13- بيسوني رسلان صلاح الدين، السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون، كتب عربية للنشر، دط، القاهرة، دت.
- 14- تشومسكي نعوم، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل ، تر : عدنان حسن ، دار الحوار ، ط 1 ، سوريا ، 2009.
- 15- _____، اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، ط2، القاهرة، 2005.
- 16- _____، اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، ط1، المغرب، 1990.
- 17- حجازي محمود، اللغة العربية عبر القرون، دار الكتاب العربي، دط، 1968.
- 18- حسّاني أحمد، دراسات في اللسانيات التطبيقية_حقل تعليم اللغات، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، دت.
- 19- حسين عاصي، أعلام مؤرخي العرب والإسلام_ابن خلدون مؤرخاً، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1991.
- 20- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992.

- 21- عبد الأمير شمس الدين، الفكري التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، دار اقرأ، ط1، بيروت، 1984.
- 22- عمارة خليل أحمد، في نحو اللغة وتراكيبها، ط1، السعودية، 1984.
- 23- فتحي يونس وآخرون، المناهج_الأسس_المكونات_التنظيمات_التطوير، دار الفكر، دط، الأردن، 2004.
- 24- قباوة فخر الدين، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، دار الفكر، ط1، دمشق، 1999.
- 25- ليونز جونز، تشومسكي، تر: محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض، ط1، 1408هـ.
- 26- مارك ريشل، اكتساب اللغة، تر: كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، لبنان، 1984.
- 27- محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، دط، 1996.
- 28- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1989.
- 29- مغربي عبد الغني، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تر: محمد الشريف بن دالي حسين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1998.
- 30- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط2، بيروت، 1986.

31- _____، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط2، بيروت، 1986.

32- _____، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، ط1، 1992.

33- النبهان محمد فاروق، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1998.

الرسائل العلمية:

1- باسم يونس البديرات، الفكر اللغوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة المعاصرة (مذكرة دكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، اشراف: عبد القادر مرعي خليل، جامعة مؤتة، 2007.

المجلات:

1- فقام فوزية، اكتساب اللغة وتعليمها عند ابن خلدون في ضوء الدراسات اللغوية النفسية الحديثة (مقال)، مجلة الذاكرة، العدد 2، دت.

2- مسعودة خلاّف شكور اسهامات ابن خلدون وآراءه النظرية في تعليمية اللغة (مقال)، المجلة الأكاديمية للدراسات الجامعية والإنسانية، العدد 10، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2013.

المحاضرات:

1- ابراهيم محمد ابراهيم محمد عثمان، من المدارس الألسنية _المدرسة التوليدية التحويلية (محاضرة)، جامعة عمر المختار.

المؤتمرات العلمية :

- 1- طارق ثابت، الاكتساب اللغوي وقضاياها عند ابن خلدون (مؤتمر)، المؤتمر العلمي الدولي "ابن خلدون علامة الشرق والغرب"، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012.

الفهرس

الفهرس

الصفحة	العنوان
	شكر وعرافان
أ-ج	مقدمة
5	مدخل
	الفصل الأول: اكتساب اللغة عند ابن خلدون وتشومسكي
8	المبحث الأول: ترجمة لابن خلدون
8	1- نبذة عن حياته
11	2- مسيرته العلمية
13	المبحث الثاني: اللغة واكتسابها عند ابن خلدون
13	1- تعريف اللغة عند ابن خلدون
14	2- تعليم اللغة عند ابن خلدون
21	3- اكتساب اللغة وآراء ابن خلدون فيها
25	4- منهج ابن خلدون في التحصيل اللغوي
27	ملخص الفصل الأول
	الفصل الثاني: اكتساب اللغة عند تشومسكي
29	المبحث الأول: ترجمة لتشومسكي
29	1- نبذة عن حياة تشومسكي
31	2- مسيرته العلمية
38	المبحث الثاني: نظرية تشومسكي في اكتساب اللغة
38	1- تعريف اللغة عند تشومسكي
40	2- نظرية تشومسكي اللغوية
43	3- إسهامات تشومسكي في تفسير اللغة

50	ملخص الفصل الثاني
	الفصل الثالث: أوجه التشابه والاختلاف بين ابن خلدون وتشومسكي
52	1-أوجه التشابه
56	2-أوجه الاختلاف
58	3-خلاصة لنتائج التشابه والاختلاف
61	الخاتمة
65	قائمة المصادر والمراجع